الفيصل

تراث في المزاد

الفروق الجنسية في الإبداع

الاستثمار الأجنبي .. القبول والرفض

مجلة ثقافية شهرية -العدد ٣٨١ - ربيع الأول ١٤٢٩هـ / مارس- أبريل ٢٠٠٨م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 381 - March/ Apr.. 2008



الأجهزة الإلكترونية بديلة من أدمغة البشر

صدر حديثاً عن..

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

إدارة التسويق: ٤٦١١٢٠٨

ناسوخ: ٤٦٥٠٨٥٧

ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣





تمكنت الإنترنت اللاسلكية من اختراق الموبايل ذاته، لتحوله إلى جهاز يجمع بين وظائف الكمبيوتر الشخصي والهاتف والتلفاز، وأصبح يضمّ أنظمة الملاحة والتوجه، فضلاً عن بضع مئات من التطبيقات والوظائف الأخرى.

وكل هذه التطورات المتلاحقة، ليست إلا النُذر الأولى للثورة التكنولوجية الرابعة، بعد ثورة ابتكار الكتابة، ثم اختراع آلات الطباعة، وبعدها اختراع الكمبيوتر الشخصي.

إدارة التحرير
رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
نائب رئيس التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير
حسين حسن حسين
محسن بن حمد الخرابة
نايف بن مارق الضبط
حوى النبي علي صالح

الإخراج الفني
الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي
١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات.
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤٢٥٠/٤١
ردمد ٠٤١١ - ٨٥٢٠

الناشر
دار الفيصل الثقافية

ضوابط النشر

يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.

لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.

يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.

في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.

لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.

المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.

يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.

نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.

الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.

لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».

يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات. الكويت ٠٨٠ فلساً. الإمارات ١٠ دراهم. قطر ١٠ ريالات. البحرين دينار واحد. عُمان ريال واحد. الأردن ٥٧٠ فلساً. اليمن ١٠٠ ريال. مصر ٤جنيهات. السودان ١٥ جنيهاً. المغرب ١٠ دراهم. تونس ٢٥٠، ١دينار. الجزائر ٨٠ دينارًا. العراق ٨٠٠ فلس. سورية ٤٥ ليرة. ليبيا ٨٠٠ درهم. موريتانيا ١٠٠ أوقية. الصومال ٢٠٠٠ شلن. جيبوتي ١٥٠ فرنكاً. لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية. الباكستان ٢٠ روبية. المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية. الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع. هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر. مؤسسة توزيع الأهرام. شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥. فاكس ٣٣٩١٠٩٦ . ٢٠٢..، سورية. المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف ٨٤٢٨٢١٢ فاكس ٢١٢٢٥٣٢ . ١١ . ٩٦٣ . ٠٠، تونس. الشركة التونسية للصحافة. ٣نهج المغرب. ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٤٠٠٣٢٣/ هاتف ٩٣٢٢٤٩ . ٧١ . ٢١٦ . ٠٠، قطر. دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع. ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢. فاكس ٤٦٦١٨٦٥ . ٩٧٤ . ٠٠، الأردن. شركة وكالة التوزيع الأردنية. ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ . فاكس ٤٦٣٥١٥٢ . ٦ . ٩٦٢ . ٠٠، البحرين. مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٥٣١٢٨١ . ٩٧٣ . ٠٠، الإمارات العربية المتحدة. مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٩٣٥٦٦٢ . فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ . ٤ . ٩٧١ . ٠٠، الكويت. شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ . ٩٦٥ . ٠٠، المغرب. الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ . ٢١٢ . ٠٠ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية. القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ . ٣ . ٩٦٧ . ٠٠ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧



رسائلكم

ما خفي أعظم!

أنا أحد المتابعين للمجلة منذ سنوات بعيدة، وقد كنت دائم الحنين إلى الماضي، ولكن ما وجدته من لمسات تطويرية في جانبي التحرير والإخراج الفني يجعلني أشيد بكم، وبحرصكم على التجديد.

ولقد لفت انتباهي موضوع كولومبس الذي أضاء جوانب غير معروفة في شخصية هذا الرجل الذي تنسب إليه الأرض الجديدة (أمريكا)، وآمل أن تسيروا في هذا النهج، وتلقوا الأضواء على شخصيات نحسب أننا نعرفها، بينما ما خفي أعظم.

لكم التحية، مع دعائي بدوام التقدم.

أشرف أبوبكر حيدر

شبرا - القاهرة - مصر

التحرير:

نشكر لك هذا الاهتمام والمتابعة، ونتمنى أن يكون هذا التطوير ملموسًا لدى جميع الإخوة القراء.

اقتراحك موضع اهتمامنا، ولعلك لاحظت حرص المجلة على التعريف بأعلام قدماء ومعاصرين؛ لأنهم لا يمثلون أنفسهم فحسب، بل يعكسون طبيعة العصر الذي عاشوا فيه، والمجتمع الذي نبعوا منه.

هدية جميلة

هذه الهدية المتمثلة في الصورة الكبيرة على الغلاف الأخير للمجلة تعد قيمة للقراء، وتجعلهم حريصين على اقتناء المجلة، وقد أضفت جمالاً على العدد.

وأعجبني أن تكون الصور ذات موضوع يحفز إلى الاستزادة، وأقترح أن تكون هناك صور لمعالم حضارية في العالم، وأخرى لأعمال فنانين كبار، أو للمواهب الشابة في مجال التصوير، وفي كل الأحوال هذه الهدية أعتز بها، وأقدر لكم هذه الخطوة ذات اللمسة الجمالية.

مصطفى كمال الأنصاري

أبوظبي- الإمارات

التحرير:

شكرًا لإطرائك، واقتراحاتك، ونأمل أن نكون عند حسن ظن القراء دائمًا.

الفيصل الأدبية

علمت بوجود مجلة أدبية تصدر عن دار الفيصل الثقافية، وأثق أنها ستكون على المستوى نفسه الذي اعتدناه منكم، إلا أنني لم أكن محظوظًا بقراءة أي عدد من هذه المجلة.

ليتكم تدلوني على طريق للحصول عليها، وتوضيح كيفية المشاركة بالكتابة فيها، لأنني أزعم أن لدي شعرًا يمكن أن ينال حظه من النشر في هذه المجلة، إلى جانب قراءات نقدية.

شاكرًا لكم، ومقدرًا ما تقومون به خدمة للثقافة والمثقفين.

طارق صلاح الدين

جدة- السعودية

التحرير:

نشكر لك اهتمامك، ونفيدك أن الحصول على مجلة الفيصل الأدبية يكون من خلال الاشتراك، وذلك على العنوان نفسه الموجود في هذا العدد، أما شروط النشر، فهي نفسها التي يتم التزامها في الفيصل الثقافية، ونأمل أن تجد أعمالك حظها من النشر، ويمكنك إرسالها على العنوان الموضح.

تساؤلات

لقد أعطاني أحد أصدقائي فهارس لمجلة الفيصل فتصفحتها. ورأيت أن مقالة لي قد نشرت في العدد (٢٢٣)، المحرم ١٤١٦هـ/ يونيو ١٩٩٥م، باب مناقشات وتعليقات، في الصفحة ١٤١. بعنوان: «ويل للعرب من شر قد اقترب».

ولم أكن عالماً بنشره، والعدد المذكور، غير موجود عندي، ولم أتمكن حتى وقت كتابة هذه السطور من الحصول على العدد المذكور، ولا على المقالة المذكورة.

لذلك أرجو منكم التكرم بإرسال نسخة من العدد ٢٢٣.

وبهذه المناسبة أخبركم بأنني أعمل على إعداد معجم للمؤلفين باللغة العربية قديماً وحديثاً، بالنسبة إلى من مات منهم قبل عام ١٩٠٠م، أذكر المخطوطات التي وصلتنا، وأماكن وجودها، وأماكن طباعتها مع معلومات أخرى، وإنني أعرف أن (دار الفيصل) قد أنشأت مركزاً للمخطوطات. فهل يمكنني الحصول على فهرس للمخطوطات، وهذا مهم جداً، وإذا كانت هناك أخبار عما طُبع منها تكون الفائدة أعظم.

وأتمنى أن تتكرموا بذكر أماكن المخطوطات العربية في المملكة، وهل هناك وزارة واحدة مسؤولة عن هذه الأماكن أو مؤسسة؟

وما عنوان مكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة؟ هل يكفي ذكر اسمها واسم المدينة لمراسلتها؟!

أرجو منكم التكرم بالإجابة في أسرع وقت ممكن.

وتفضلوا بقبول خالص التحية والاحترام

محمد فهمي الحمدان

بزاعة - الباب - حلب - سورية

التحرير:

نعتذر لك عن عدم وصول العدد المذكور إليكم، على الرغم من حرصنا على إرسال نسخة إلى الكاتب مع صدور العدد مباشرة، وسوف يصل إليك العدد، إن شاء الله.

يمكنكم الاستفسار عما يخص المخطوطات بالاتصال على الهاتف: ٠٠٩٦٦٤٦٥٢٢٥٥ وتحويلة ٦٥٧١-٦٥٧٨ وسوف نحول إليهم الرسالة ليردوا عليك بالتفصيل.

أما مكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة فعنوانها هو الآتي:

وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

ص ب : ٣٦٠٠٠ المدينة المنورة المملكة العربية السعودية

هاتف : ٨٣١٠٥٢٨ - ٤-٩٦٦/ ٨٣١٣١٣٨-٤-٩٦٦

فاكس : ٨٣١٣٥٩٦-٤-٩٦٦/٨٣١٢٤١٠ - ٤-٩٦٦

البريد الإلكتروني : info@msi.gov.sa

تراث

تراث في المزاد

يحيى محمود بن جنيد
الرياض - السعودية

تقام في كل عام عشرات المزادات العالمية، التي تعرض فيها قطع نفيسة من نتاج الحضارة العربية الإسلامية، توضح ثراء هذه الحضارة التي تتدفق مقتنياتها كالأنهار الجارية، وتتنوع المعروضات بين فخاريات، ومشغولات معدنية، وأسلحة، وأدوات زينة، وسجاد، وأوانٍ، ولوحات خطية، ومخطوطات، تحظى باهتمام كبير من الغربيين الذين يقبلون على شرائها بأثمان مرتفعة، يضمونها إلى مجموعاتهم الخاصة، أو إلى متاحف ومكتبات تفاخر بعرضها، وتتباهى بتملكها.

وتسير آلية العمل في صالات المزادات الغربية المشهورة وفق خطة دقيقة محكمة، فلا يعرض إلا ما يثبت صاحبه أنه غير مسروق، وأنه أصلي، ثم تفحص المادة المرغوب في عرضها، وتدرس على يد متخصصين محترفين للتأكد من أصالتها، وتقدير سعرها بين حدين أعلى وأدنى، بحيث يفتتح المزاد حسب الحد الأدنى، فإما أن تباع القطعة وفقه، وإما أن تباع بمبلغ يصل إلى الحد الأعلى، وقد يفوق السعر الذي تباع به القطعة ذلك الحد الأعلى إن كانت ذات تميز واضح.

ومن أشهر المزادات التي تهتم بعرض التراث العربي الإسلامي كريستز، وسوذبز، وسبنكس، وبنهام، وتوجان. وينفرد مزاد سبنكس بالتركيز على المسكوكات.

ففي مزاد لسبنكس أقيم في يوم الاثنين الثامن عشر من شهر فبراير عام ١٩٨٦م عرضت ٢٢٦ قطعة من عصور إسلامية مختلفة تمثل مناطق إسلامية كثيرة، وبلغ عدد القطع المعروضة في

التراث العربي الإسلامي المخطوط يعدّ من أكثر أنماط التراث الإنساني المخطوط عدداً، إن لم يكن الأكثر، وهو الأكثر انتشاراً في أقطار الأرض بلا مراء أو جدال

مزاد السابع عشر من مارس عام ١٩٨٧م (٥٢٣) قطعة متنوعة.. كما عرضت في مزاد أقيم في يوم الأربعاء الثالث عشر من أكتوبر عام ١٩٩٩م (٤٩٣) قطعة، وتضمن المزاد المقام في لندن في يومي الأربعاء والخميس الرابع والخامس من أكتوبر عام ٢٠٠٠م (٢٧٥) قطعة إسلامية، من بين ١٠٨٣ قطعة من مختلف أنحاء العالم.

ويتم في بعض المزادات التركيز على نوعية محددة من التراث الإسلامي، كما جرى في مزاد كريستز في شهر أبريل عام ٢٠٠٣م، خصص لقطع نادرة من السجاد الإسلامي.

وتحظى معروضات التراث الإسلامي بإقبال كبير من قبل المقتنين، وتتخطى أثمانها الحد الأعلى في كثير من الأحيان، كما حصل لباب خشبي من العصر السلجوقي من قونية في تركيا، فقد حدد سعره في كتالوج كريستيز بمزاد التاسع والعشرين من شهر أبريل عام ٢٠٠٣م بمبلغ يراوح بين ١٥٠ و٢٥٠ ألف جنيه إسترليني، إلا أنه بيع في أثناء المزاد بمبلغ ٧٦٦,٨٥٠ جنيهاً إسترلينياً.

كما بيع مجسم برونزي لطائر مزخرف بزخارف إسلامية في العصر الأموي في الأندلس بمبلغ ٩٠١,٢٥٠ جنيهاً إسترلينياً.

وبلغ مجموع مبيعات الفن الإسلامي والمخطوطات في المزاد المشار إليه سابقاً ثلاثة ملايين وسبع مئة وثمانية وعشرين ألفاً ومئة وثمانية وثلاثين جنيهاً إسترلينياً.

وفي مزاد نظمته صالة سوذبز في لندن في الخامس عشر من أكتوبر عام ٢٠٠٣م عرض إطار خشبي من العصر الفاطمي حفرت عليه آيات من القرآن بخط كوفي متقن، وقدرت القيمة المبدئية للإطار بين ٤٠ و٦٠ ألف جنيه إسترليني.

وبسبب اتساع الموضوع، فسأركز على المخطوطات وحدها؛ فالمعروف أن التراث العربي الإسلامي المخطوط يعدّ من

إحدى التحف الفنية الإسلامية



أكثر أنماط التراث الإنساني المخطوط عدداً، إن لم يكن الأكثر، وهو الأكثر انتشاراً في أقطار الأرض بلا مراء أو جدال.

فمن حيث العدد لا نملك إحصاءات رسمية دقيقة، ولكن ما يتردد بين الباحثين والمهتمين، أن هناك قرابة ثلاثة ملايين مخطوطة عربية إسلامية، تتوزع في مكتبات العالم المعروفة، والمؤكد أن هناك مجموعة كبيرة أخرى غير معروفة مملوكة من أفراد، أو في مكتبات المدارس، أو المساجد، أو ضمن مقتنيات مكتبات معروفة إلا أنها لم تفهرس، ولم يعرّف بها.

أما الانتشار فلا تكاد دولة من دول العالم تخلو من مخطوطات عربية، أو مخطوطات مكتوبة بالحروف العربية، ويقدم لنا الكتاب الموسوعي المتميز الذي أشرف على تحريره باللغة الإنجليزية جيوفري روبر، ونشر تحت عنوان World Survey of Islamic Manuscripts، والذي نقله إلى العربية الأستاذ الدكتور عبدالستار عبدالحق الحلوجي، ونشرته دار الفرقان في لندن بعنوان: المخطوطات الإسلامية في العالم - معلومات موسعة دقيقة عن الأماكن التي توجد فيها مخطوطات عربية إسلامية، مع إشارة إلى الفهارس أو التعريفات التي تناولتها إن وجدت، فعلى سبيل المثال: أشير في المجلد الأول إلى المخطوطات الموجودة في إثيوبيا، وأذربيجان، والأردن، وأرمينيا، وإسبانيا، وأستراليا، وأستونيا، وأفغانستان، وألبانيا، وألمانيا، والإمارات العربية المتحدة، وأندونيسيا، وأوزبكستان، وأوكرانيا، وإيران، وإيرلندا، وإيطاليا، وباكستان، والبحرين، والبرازيل، فإذا كان وجود المخطوط العربي في دول إسلامية يعدّ أمراً طبيعياً، فإن وجوده في دول أوربية، مثل: ألمانيا وإيطاليا معروف ومشهور، إلا أن غير المعروف هو انتشاره في مدن كثيرة داخل الدولة الواحدة.

ففي إيطاليا - على سبيل المثال - تنتشر المخطوطات العربية في مدن مختلفة، ففي أريتسو Arezzo توجد في مكتبة كورنسور تسيالي Biblioteca Conrorziala مخطوطة عربية، وفي مدينة أجريجنتو Agrigento تضم مكتبة لوكيزيانا Biblioteca Lucchesiana، وهي مكتبة كنسية، ١٢ مخطوطاً عربياً.

وفي إيمولا Imola تحتوي المكتبة العامة على ستة مخطوطات عربية، وفي بادوا Padua توجد ستة مخطوطات عربية في مكتبة أنطونيانا Biblioteca Antoniana، وسبعة مخطوطات في مكتبة الجامعة Biblioteca Universitaria، وأربعة عشر مخطوطاً في مكتبة المجالس العلمية Biblioteca Seminarile، وهناك مخطوطات في مكتبة بمدينة بارما.

وفي المجلد الرابع نجد رصداً للمخطوطات العربية في مصر، والمغرب، ومقدونيا، والمملكة المتحدة، وموريتانيا، والنرويج، والنمسا، والنيجر، ونيجيريا، ونيوزلندا، والهند، وهولندا، والولايات المتحدة الأمريكية، واليابان، واليمن، ويوغسلافيا (صربيا والجبل الأسود)، واليونان. ومما يسترعي انتباهنا في هذه المجموعة نيوزلندا واليابان، ولغرابة الأمر سوف أقدم ملخصاً لما ورد عن المخطوطات العربية في هاتين الدولتين.

ففي نيوزيلندا تمتلك المكتبة الوطنية أربعة مخطوطات: ثلاثة منها مصاحف: اثنان منها مكتوبان على رق، والرابع مجموعة نصوص من القرآن تتخللها تفسيرات وابتهالات وتعاويذ.

أما في اليابان فهناك ٣٥١ مخطوطاً عربياً في معهد الثقافة الشرقية بجامعة طوكيو، وهي في أصلها مجموعة العالم الألماني هانز دايبر، التي جمعها من بلدان عربية وإسلامية. وأقدم مخطوطة فيها تعود إلى سنة ٥٥١هـ، وقد ذكر هانز دايبر أن المجموعة تضم عدداً من المخطوطات الفريدة، التي لم يرد لها ذكر في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ولا في معجم المؤلفين لكحالة. ومن النوادر التي تستحق الذكر نسختان من رسالة في أنواع المشروعات، وهي رسالة مفصلة في مصطلحات الفقه الإسلامي ألفها لطف الله الكيداني.

كما تضم مكتبة جامعة طوكيو للدراسات الأجنبية ١٢٣ مخطوطاً عربياً شرع في جمعها في عام ١٩٧٥م.

إن أغلبية المخطوطات العربية التي نقلت إلى مكتبات العالم الغربي، تم نقلها في وقت ساد فيه الجهل في البلاد العربية الإسلامية، وتحول التراث المخطوط في ذلك الوقت إلى ركام

يقدم كتاب المخطوطات الإسلامية معلومات موسعة دقيقة عن الأماكن التي توجد فيها مخطوطات عربية إسلامية، مع إشارة إلى الفهارس التي تناولتها إن وجدت



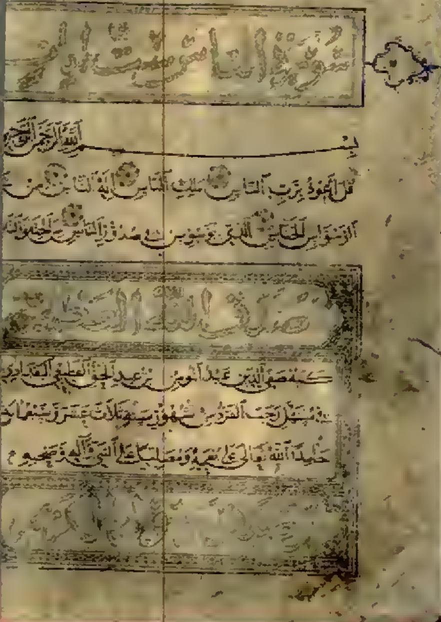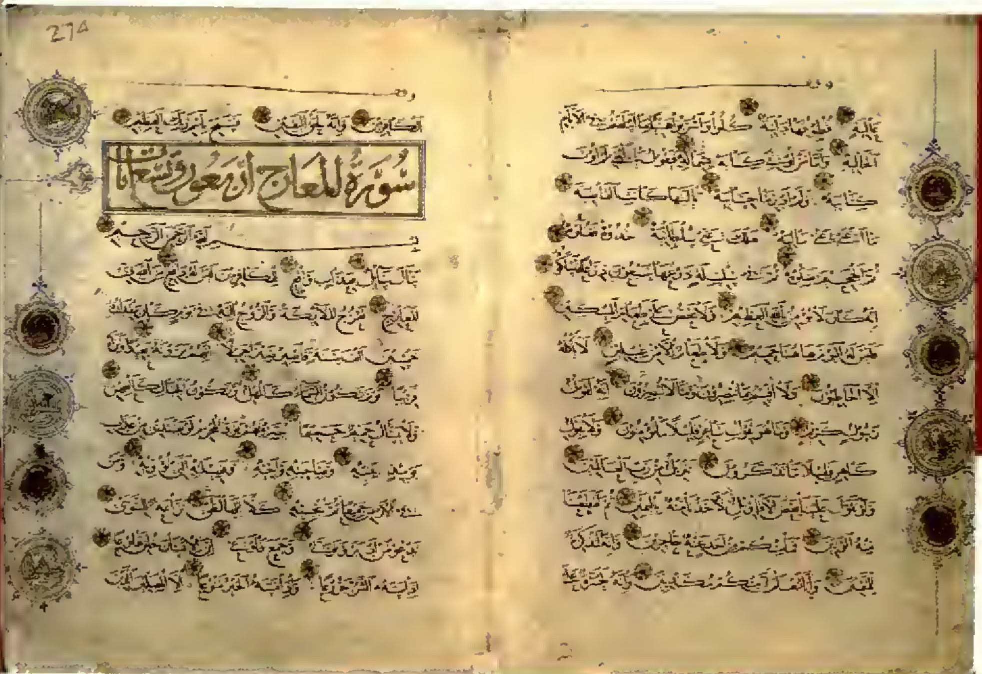




أعمال تراثية عرضت في المزادات (مجلة سوذبز ٧ ديسمبر ٢٠٠١م، ٣٠ أبريل ٢٠٠٢م)

من الأوراق المهملة المنسية، وتعاون الإنسان مع عوامل الطبيعة والحشرات على تدمير قسم كبير منها بالإتلاف والحرق، وحمل عشرات الآلاف منها للبيع جملة في مدن أوربا وأمريكا مصدرها مدن الحضارة الإسلامية المشهورة مثل بغداد، والبصرة، والنجف، ودمشق، وحلب، والقاهرة، وسمرقند، وبخارى، ومراكش، وفاس، ومكناس، وشيراز، ونيسابور، وأصفهان، وتمبكتو.

ولإعطاء صورة عن بدايات التفريط في التراث المخطوط عن طريق البيع: أشير إلى حادثتين تعودان إلى القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي: أولاهما: المزاد الذي أقيم في القاهرة سنة ١٢٧٨هـ على مكتبة الهامي باشا، التي كانت تحتوي على ١٧٠٧ عناوين مخطوطة ومطبوعة، جعلت في فهرس مطبوع، وضع في آخره إعلان عن بيعها في المزاد، نصه كما يأتي: الكتب المسطر بيانها أعلاه من المخلف عن المرحوم الهامي باشا، سيصير الشروع في بيعها بالمزاد العام بسراي الهامية بمصر المحروسة، ابتداء من يوم الجمعة ٢٥ ربيع الأول سنة ١٢٧٨هـ الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٦١م، وهكذا بعد ذلك في كل يوم جمعة ويوم ثلاثاء من كل أسبوع حتى ينتهي بيعها، ولذلك صار طبع فهرسها على هذا الوجه. ونشر عنها هذا الإعلان، تعين أن كل من كان له رغبة في الحصول على بعض الكتب منها، إما أن يحضر بذاته، وإما أن يوكل





المخطوطات آية من الجمال ولها رواجها في سوق المزادات

الوكيل المقتضى لحضور مجلس المزاد المذكور، واشتراء ما يرغب منها، يكون معلوم، في ١٧ من المحرم سنة ١٢٧٨هـ / ٢٥ يوليو عام ١٨٦١م، وكيل تركة المرحوم الهامي باشا.

وكان مما احتوت عليه المكتبة من المخطوطات:

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ترتيب جديد لعربجي باشا، نسخة كاملة مذهبة.
- الجزء الثاني من الخطط المقريزية.
- ديوان المقرَّب (لعل المقصود: ابن المقرَّب)
- مختصر العلامة ابن إياس.
- كتاب في الجهاد وتعلم الفروسية للشيخ محمد بن يعقوب، نسخة كاملة.
- المطالب العالية للرازي، نسخة كاملة مجدولة بماء الذهب.

ويبدو أن بيع المخطوطات والكتب العربية بمثل الصفة التي تمت لكتب الهامي باشا كانت مسألة شائعة في ذلك الوقت وكان الأوربيون يقتنصون مثل هذه المناسبات لتجميع النوادر بشرائها بأثمان بخسة.

أما الحادثة الأخرى التي تؤكد نشاط الأوربيين في شراء المخطوطات العربية، ومن ثم توجه المتاجرين بها إليهم في ديارهم، فيوضحها ما فعله أمين بن حسن الحلواني المدني، الذي حمل مخطوطات من المدينة المنورة إلى هولندا في عام ١٣٠١هـ /١٨٨٣م، وهناك عرضها للبيع على مؤسسة E.J. Brill ذات التاريخ الطويل في طباعة الكتب العربية ونشرها والاتّجار فيها، بما فيها المخطوطات، وسارعت مؤسسة بريل إلى شراء مجموعة الحلواني التي كانت تزيد على ست مئة مخطوطة، ووضع لها كارل لندينبرج فهرساً تفصيلياً، وكتب مقدمة تحدث فيها عن أهميتها، وأشار إلى بعض نوادرها، كما يذكر عاصم حمدان، ونشر الفهرس في العام نفسه ١٨٨٣م للإعلان عن المجموعة، فبادرت مكتبة جامعة ليدن في هولندا إلى اقتنائها، كما باعت مؤسسة بريل مجموعة أخرى من بينها مخطوطات اشترتها من أمين الحلواني المدني، إلى مكتبة جامعة برنستون في الولايات المتحدة الأمريكية في نحو عام ١٨٨٦م.

وفي تلك الفترة الزمنية تكونت أغلب مجموعات المخطوطات العربية النادرة في المكتبات الوطنية، والجامعات الأوربية، ومن يعد إلى فهارس المكتبة الوطنية الفرنسية، والمكتبة البريطانية، ومكتبات

أخرى في ألمانيا وإيطاليا، فسيجد نفائس لا تقدر بثمن وصلت إليها عن طريق السماسرة والمستشرقين والرحالين، الذين اقتنصوها من أماكن زاروها في البلدان العربية والإسلامية، التي كان أكثرها يقبع تحت الاستعمار البريطاني والفرنسي والروسي.

وكان المتوقع بعد أن استعادت البلاد العربية والإسلامية استقلالها، ونشطت فيها حركة العلم، وظهرت عليها بوادر الاستيقاظ والتنبه، أن تتوقف موجة إغراق السوق العالمي بالمخطوطات العربية الإسلامية، إلا أن ما حدث هو العكس، إذ ازداد نشاطها لثلاثة أسباب:

أولها: انسلاخ بعضها عن مسار الثقافة العربية الإسلامية، مثل تركيا التي انسلخت طوعاً، ودول وسط آسيا، وبعض الدول الإسلامية في إفريقية التي انسلخت قسراً عن ثقافتها وتراثها، وشبه القارة الهندية التي تضاءل فيها تأثير العربية الإسلامية، خصوصاً في الجزء الذي كونته الهند.

وثانيها: موجة الحروب والاضطرابات التي شهدتها مناطق من العالم الإسلامي، مثل أفغانستان، والعراق، وغيرهما.

وثالثها: الإغراءات المادية التي حفزت ملاك مكتبات عريقة إلى التخلص منها مقابل المال، وهو حال بلدان، مثل: المغرب، ومصر، وسورية، وتونس، واليمن، وظهور متخصصين في عمليات البحث والتنقيب عن المخطوطات في مثل تلك الدول يشجعون على بيعها، ويعملون على شرائها بأثمان منخفضة، ثم يقومون بتهريبها إلى منطقة الخليج والدول الأوربية.

وأدى توافر المخطوطات، وكثرة المعروض منها في تلك البلدان إلى ظهور التجارة بالمخطوطات من المنابع إلى مصبات جديدة، وحظيت دول الخليج، مثل: المملكة العربية السعودية، والإمارات العربية، والكويت، وقطر، بكثير من المخطوطات التي استقرت في مكتبات الجامعات بالدرجة الأولى، ثم في مكتبات المؤسسات العلمية الأخرى.

أغلبية المخطوطات العربية التي نقلت إلى مكتبات العالم الغربي، تم نقلها في وقت ساد فيه الجهل في البلاد العربية الإسلامية

وإلى جانب ما كان يأتي إلى دول الخليج، كانت هناك مجموعات أخرى نادرة ومهمة تسوق في الدول الغربية، وتباع من خلال شركات التجارة بالكتب النادرة في لندن، وباريس، وليدن، وغيرها.

غير أن أنفس النفائس من المخطوطات العربية والإسلامية هي التي كانت ولازالت تعرض في المزادات العالمية التي تقام في أوربا وأمريكا، التي تعد مصدراً مهماً لاقتناء المخطوطات العربية الإسلامية، ولا يخلو مزاد منها من نسخ نادرة، كأن تكون أقدم من النسخ المحفوظة في مكتبات بعينها، اعتمد عليها في التحقيق والنشر، أو أن تكون غير معروفة من قبل، أو أن تكون ندرتها في تصاويرها وزخارفها المتقنة أو خطها المنسوب.

والمؤسف أن أغلب النوادر كانت ومازالت تقتنيها مكتبات وأفراد أجانب من غير العرب والمسلمين، لا يترددون في شرائها بأغلى الأثمان، ولا يجدون أي منافسة من قبل العرب والمسلمين الذين قد يحضرون هذه المزادات، ولا يستطيعون مجاراة الأوربيين في إعطاء المخطوط النادر حقه من التقدير المادي؛ لاختلاف ثقافة الاقتناء بين العرب والأوربيين، فالأوربي يرى أن اقتناء قطعة واحدة نادرة بسعر مرتفع أهم من اقتناء مجموعة قطع لا قيمة لها، وعلى العكس من ذلك نجد أن المقتني العربي يهتم باقتناء مجموعات بائسة لا فائدة ترجى من اقتنائها بسعر منخفض، لذلك ذهبت أغلب النوادر التي عرضت في صالات المزادات إلى المقتني الأوربي من المكتبات والأفراد الذين يفخرون بما اقتنوا، ولهم الحق في ذلك، على حين ذهبت المجموعات البائسة في كثير من الأحيان إلى المقتني العربي، من أفراد ومكتبات لتشكل عبئاً على الفرد أو المكتبة لارتفاع تكلفة صيانتها وحفظها، من دون أن يكون لها أي تميز علمي أو فني.

ولعل من أكثر الأمثلة الموضحة لهذا التباين الثقافي كثرة المخطوطات ذات القيمة الفنية في مكتبات العالم الغربي، وقلتها في مكتبات البلدان العربية والإسلامية، وإذا أردنا أن نوضح ذلك أكثر، فإن أنفس المخطوطات المنمنمة في العالم تحفظ اليوم في مكتبات العالم الغربي، وأهم نماذجها مقامات الحريري، وكليلة ودمنة.

وقد تسنى لي شخصياً الوقوف على مجموعة من الكتالوجات الخاصة بمزادات أقيمت في بريطانيا وفرنسا، ووقفت فيها على عينات من النوادر والنفائس: لقيمتها العلمية أو الفنية.

ففي مزاد نظم في باريس في يومي ١٩ و ٢٨ إبريل عام

١٩٩٧م عرضت ورقة من القرن الثامن الميلادي، مكتوبة بخط النسخ الحجازي على ورق البردي، كما عرضت في المزاد نفسه مجموعة نفيسة من المصاحف المزخرفة.

وفي مزاد سوذبز في أكتوبر عام ١٩٨٩م، عرضت نسخة من كتاب الفروسية والبيطرة، تعود إلى القرن التاسع الهجري، وقدرت قيمتها بين ألفين وأربعة آلاف جنيه إسترليني. وفي مزاد بباريس أقيم في سبتمبر عام ١٩٩٧م، عرضت نسخة من الصحاح في اللغة لإسماعيل بن حماد الجوهري كتبت في بغداد سنة ٦١٠هـ، ومما عرض في سوذبز في شهر مايو عام ٢٠٠١م، عشرون قطعة من البردي كتبت في الفسطاط بين القرنين الثاني والرابع الهجري (٨-١٠م)، كانت من مقتنيات H.R.Krous. عثر عليها في القرن الثامن عشر في مصر القديمة، تعد على درجة كبيرة من الأهمية لاحتوائها على معلومات قيمة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في سنوات مبكرة من تاريخ الإسلام. وقدرت قيمتها بـ ٢٠ إلى ٣٠ ألف جنيه إسترليني.

باب بنقوشات دقيقة (مجلة كريستز - ٢٩ أبريل ٢٠٠٣م)



كما عرضت فيه قطعة من المدونة للإمام سحنون تبدأ بكتاب العتق مكتوبة على رق في جنوب إسبانيا، في سنة ٢١٤هـ، تقع في ١٩ ورقة، وقدرت قيمتها بـ ٢٥ إلى ٣٥ ألف جنيه إسترليني.

ومن النفائس التي عرضت في المزاد نفسه نسخة من كتاب الأربعين في أصول الدين للفخر الرازي، كتبت في سنة ٩١٦هـ، تقع في ٢٨٧ ورقة، قدر ثمنها بمبلغ يراوح بين ١٥ و ٢٥ ألف جنيه إسترليني.

ونسخة من الإشارات والتنبيهات لابن سينا، مكتوبة في سنة ٦٩٦هـ، قدر سعرها بين ١٥ و ٢٥ ألف جنيه إسترليني.

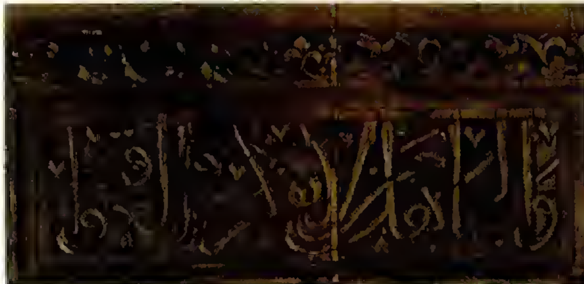
ونسخة من القانون في الطب لابن سينا، مكتوبة في سنة ٨٩٩هـ، قدر سعرها بـ ١٥ إلى ٢٥ ألف جنيه إسترليني.

ونسخة من تقويم الصحة بالأسباب الستة لابن بطلان، مكتوبة في سنة ٧٤٥هـ بسعر مبدئي يراوح بين ١٢ و ١٨ ألف جنيه إسترليني.

وفي مزاد بسوذبز أقيم في أكتوبر عام ٢٠٠١م، عرضت ورقة واحدة من عجائب المخلوقات للقزويني تضم صورتين: إحداهما لنمر، والأخرى لطائر، يعتقد أنها من نسخة كتبت في اليمن في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي). وكان الثمن المطلوب لها مبدئياً بين ٤ و ٦ آلاف جنيه إسترليني، ولا شك أن ارتفاع ثمن هذه الورقة يعود إلى ندرة التصاوير في منطقة الجزيرة العربية.

كما عرضت في المزاد نفسه نسخة تحتوي على القسم الثالث من النهاية، في غريب الحديث لابن الأثير، مكتوبة في سنة ٦٨٤هـ، تقع في ٦٠ ورقة بسعر مبدئي يراوح بين ٤ و ٦ آلاف جنيه إسترليني.

وشهد ذلك المزاد بيع مخطوطة لا تقدر بثمن. وهي نسخة من الحماسة لأبي تمام، كتبت في سنة ٤٦٠هـ، بخط نسخي غاية في الدقة والإتقان تقع في ١٣٥ ورقة. ولعلها ثاني أقدم نسخة معروفة







شمعدان فارسي من الذهب والفضة (مجلة كريستز - ٢٩ أبريل ٢٠٠٣م)

من هذا الكتاب إلى اليوم، إذ يذكر سزكين أن أقدم نسخة منه محفوظة في مكتبة الأسد، مكتوبة في سنة ٤٣١هـ، ويراوح المبلغ المقترح لبيعها بين ٢٠و٣٠ ألف جنيه إسترليني.

وعرضت في مزاد بنهام بلندن في شهر أبريل عام ٢٠٠٢م، نسخة من فتوح الشام للواقدي، كتبت في القرن الثامن الهجري، قدر ثمنها بـ ١٠,٠٠٠ إلى ١٢,٠٠٠ جنيه إسترليني.

وشهدت صالات المزاد بيع نفائس من الجامع الصحيح للإمام البخاري، منسوخة في أزمان متقدمة منها نسخة كتبت في المرية في الأندلس عام ٥٣٢هـ، على الرق بخط أندلسي؛ وقدر ثمنها بـ ٤,٢٠٠ إلى ٧١٠٠ دولار أمريكي، عرضت في كريستز بلندن في أبريل عام ٢٠٠٢م.

ومما عرض في مزاد كريستز المشار إليه آنفاً نسخة من الروض الزاهر المستخلص من زيج الديلمي، لسليمان بن أحمد المهري، كتبت في البحرين سنة ٩٤٣هـ قدر ثمنها بـ ٣,٠٠٠ إلى ٥,٠٠٠ دولار أمريكي.

وفي مزاد آخر بكريستز أقيم في أكتوبر عام ٢٠٠٢م، عرضت مجموعة أجزاء من مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري، كتبت في حلب عام ١٧١٠م احتوت على مجموعة كبيرة من الرسوم الحيوانية المتقنة فنياً، وقدر ثمنها بـ ٧,٠٠٠ إلى ١٠,٠٠٠ جنيه إسترليني.

وعرضت في المزاد نفسه نسخة خزائنية من وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلّكان. كتبت سنة ٨٣٨هـ في مجلدين قدر ثمنها بمبلغ يراوح بين ١٠,٠٠٠ و ١٥,٠٠٠ جنيه إسترليني.

وفي مزاد بنهام في لندن المقام في أبريل عام ٢٠٠٢م، عرضت نسخة من الجداول التقويمية، مواعيد الأوقات في الأقاليم، لشمس الدين الخليلي، المتوفى سنة ٨٠٠هـ كتبت في سنة ٨٣١هـ في دمشق. وعرض فيه أيضاً مصحف كتبته أمة الله نور العلم بنت رشيد في بكين بالصين سنة ١٠٥٠هـ حليَّ بزخارف صينية، وقدر ثمنه بـ ٣,٠٠٠ إلى ٤,٠٠٠ جنيه إسترليني، ويعدّ هذا المصحف من النوادر؛ لأن ناسخته امرأة صينية كتبته في القرن الحادي عشر الهجري، ويندر وجود مصحف من هذا النوع في أي مكتبة من مكتبات العالم المعروفة.

ومن النفائس التي عرضت في ذلك المزاد نسخة من كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، كتبت بخط أندلسي قبل سنة ٦٦٠هـ، قدر ثمنها بـ ٧,٠٠٠ إلى ١١,٠٠٠ دولار أمريكي.

كما عرضت فيه نسخة من الحلل السندسية في الأخبار التونسية لمحمد بن محمد السراج الوزير، وهي غاية في النفاسة لما احتوت عليه من زخارف، يعود تاريخ نسخها إلى سنة ١١٧٨هـ، وقدر ثمنها بـ ٥,٠٠٠ إلى ٧,١٠٠ دولار أمريكي.

وعرض في مزاد بنهام في لندن في أبريل عام ٢٠٠٢م، كتاب المواعظ والاعتبار للمقريزي، نُسخ في سنة ٩٢٥هـ، وقدر ثمنه

من المهم ألا ينظر إلى هذه المزادات نظرة سلبية، فيقال: إن الغرب يسلب تراثنا، بل يجب تغليب الجانب الإيجابي فيها؛ لأن أغلب ما يعرض يأتي من أماكن حفظ رديئة

أغلب النوادر كانت ومازالت تقتنيها مكتبات وأفراد أجانب من غير العرب والمسلمين، لا يترددون في شرائها بأغلى الأثمان، ولا يجدون أي منافسة من قبل العرب والمسلمين الذين قد يحضرون هذه المزادات

بـ ٣،٠٠٠ إلى ٤،٠٠٠ جنيه إسترليني.

ومن النفائس التي لا تقدر بثمن التي عرضت في المزادات نسخة من أطلس عربي، يعود تاريخه إلى القرن الخامس الهجري، يقع في مجلدين، ويحتوي على سبع عشرة خريطة، ورسوم تخطيطية للعالم والمذنبات والنجوم، عدّه الخبراء الوحيد من نوعه في العالم. وقد اقتنته جامعة أكسفورد بمبلغ أربعمئة ألف جنيه إسترليني، كما ذكرت سميرة التميمي في العدد ٤٦٨ من مجلة الجديدة.

وقد تابعت ما عرض في مزاد كريستز الذي أقيم في اليوم التاسع والعشرين من شهر أبريل عام ٢٠٠٢م. فكان من بين ما عرض فيه نسخة من المصحف الشريف بخط صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق القطيعي البغدادي الحنبلي المتوفى سنة ٧٣٩هـ. وكان عالم بغداد في زمانه، واشتهر عنه أنه كان يكتب الخط المنسوب البديع المميز بالجودة والضبط، وجاءت هذه النسخة من المصحف التي كتبها في سنة ٧١٣هـ، لتؤكد ذلك، وقد ثمّن المصحف بمبلغ يراوح بين عشرين وثلاثين ألف جنيه إسترليني.

وعرض في المزاد نفسه أيضاً نسخة من مصحف قجاري؛ نسخ في سنة ١٢١٨هـ، ونسخة خزائنية من الكواكب الدرية في مدح خير البرية للبوصيري: مكتوبة في سنة ٨٤٤هـ، كانت في خزانة السلطان المملوكي الظاهر أبي سعيد جقمق، قدر ثمنها بمبلغ يراوح بين ٧،٠٠٠ و ١٠،٠٠٠ جنيه إسترليني.

ومن أهم ما عرض في المزاد أيضاً، نسخة منمنمة من كليلة ودمنة؛ منسوخة في سورية على يد أبي المنى بن نسيم النقاش، في سنة ١٠٨٢هـ، احتوت على خمس وخمسين لوحة، وقدر ثمن هذه النسخة بمبلغ يراوح بين ٤٠،٠٠٠ و ٦٠،٠٠٠ جنيه إسترليني.

وبعد انتهاء المزاد تابعت ناتج البيع فكان على النحو الآتي:

- مصحف القطيعي اشتري بمبلغ ٢٣،٠٠٠ جنيه إسترليني.
- المصحف القاجاري اشتري بمبلغ ألفين وتسع مئة وسبعة وثمانين جنيهاً إسترلينياً.
- الكواكب الدرية لم يتم بيعه.
- كليلة ودمنة اشتري بمبلغ ثلاثة وخمسين ألفاً وسبع مئة وسبعين جنيهاً إسترلينياً.

وعرض في مزاد عقدته سوثبيز في الخامس عشر من أكتوبر عام ٢٠٠٣م نسخة نفيسة من كتاب الأدوية المفردة ليونس بن إسحاق الإسرائيلي، كتبت بخط مغربي في سنة ٥٢٤هـ / عام ١١٣٠م، وقدرت القيمة المبدئية لها بين مئة ألف إلى مئة وعشرين ألف جنيه إسترليني، واستغرق وصفها مع عرض صور لمحتواها الصفحات من ٢٠ إلى ٢٥ في فهرس المزاد.

وعرضت مجموعة من الوثائق الفاطمية والأيوبية، أقدمها سنة ٥٠٠هـ / عام ١١٠٦م في مزاد كريستز الذي نُظم في السادس والعشرين من شهر أبريل عام ٢٠٠٥م. وقدرت القيمة التي عرضت في بداية المزاد بين ١٢ و ١٥ ألف دولار.

كما عرضت في المزاد نفسه قطعة من كتاب فتوح الشام، وتقع هذه النسخة في

أنواع من السجاد تعرض في المزادات



١٥٥ ورقة كتبت بخط نسخي، جاء في نهايتها. فهذا آخر كتاب فتوح الشام. تمّ الجزء الأول من كتاب فتوح الشام، وتتلوه في الجزء الثاني من هذا الكتاب ذكر فتوح الجزيرة على يد عياض بن غنم الفهري، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد خير خلقه خاتم النبيين وعلى وصيّه وسبطيه وأهل بيته وأصحابه الطاهرين، وكتبه أبو محمد بن إسماعيل بن الفرج بن منصور المقرئ القزويني، غفر الله له ولوالديه ولجميع أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بمدينة السلام في ربيع الأول سنة خمس مائة وعشرين، وقدرت القيمة المبدئية لهذه القطعة بمبلغ يراوح بين ٥٨٠ و٩٦٠ دولار أمريكي.

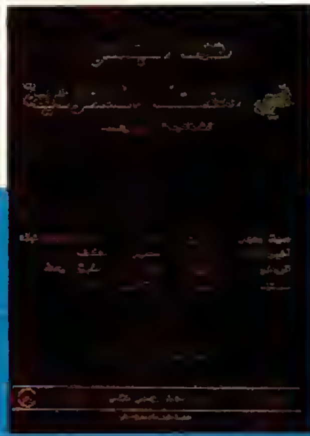
إن النفائس السابقة هي مجرد نماذج لما يعرض في المزادات، وهي في مجملها تظهر أن غير المعروف من المخطوطات العربية كثير جداً، وأن تجار المخطوطات المحترفين يسعون دائماً إلى الوصول إلى المتميز من المخطوطات العربية؛ لعرضه في مزادات الغرب؛ لأن عرضه في البلاد العربية غير مربح لضعف تقديرات من يودون شراءه.

ولعل من المهم ألا ينظر إلى هذه المزادات نظرة سلبية، فيقال: إن الغرب يسلب تراثنا، بل يجب تغليب الجانب الإيجابي فيها؛ لأن أغلب ما يعرض يأتي من أماكن حفظ رديئة، ثم إن القادرين من العرب والمسلمين يعزفون في كثير من الأحيان عن شراء المخطوطات ذات الأثمان المرتفعة، مفضلين عليها النماذج الرخيصة.

كما أن عرض هذا التراث في المزادات هو وسيلة للتعريف بالدور الرائد للحضارة الإسلامية، وهو نمط من أنماط عولمة الثقافة عندما تذهب قطع من فنون التراث الإسلامي، ومن المخطوطات النفيسة إلى مقتنين أجانب يعرضونها في أماكن حفظ مميزة مع مقتنيات أخرى من شتى أنحاء العالم، تظهر للمشاهد ما كان عليه الفن الإسلامي من تطور وتميز، وتؤكد عمق العلاقة بين الإسلام والنواحي الجمالية.

وأخيراً فليس من العيب أن يطرح التراث العربي الإسلامي في المزاد، ولكن العيب أن يُسلب بأيدي أبنائه، ثم لا يجد من يقتنيه من أهله.

محاضرة القيت في النادي الأدبي بالرياض في ١٢/٣/١٤٢٤هـ



حمد الجاسر في الصحف السعودية، كشاف بما نشر له وعنه/ إعداد: مركز حمد الجاسر الثقافي .- الرياض، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ٥٠٣ص (مركز حمد الجاسر الثقافي؛ ٨).

يجمع هذا الكتاب بين دفتيه ما نشره الشيخ حمد الجاسر في الصحف السعودية، وما نشره غيره، مما له علاقة به من لقاءات، أو تعقيبات، أو أخبار، أو غير ذلك. وقد قام المركز بتكشيفها، وترتيبها، وإخراجها في هذا الكتاب، ليسهل الرجوع إليها لمن أراد البحث في تاريخ الشيخ الجاسر، وبحوثه، ومقالاته، وما كتب عنه طوال حياته العلمية الحافلة بالعطاء والإنجاز، خلال ما يقرب من سبعين عاماً.

وقد اكتفى المركز هذه المرة بالصحف السعودية؛ لأنها أكثر الأوعية العلمية احتواء لمقالات الشيخ، وأخباره، وبحوثه، وتعقيباته، ولكونها الميدان الأول للكتّاب والعلماء الذين اهتموا بدراسة جهود حمد الجاسر، وشخصيته، وآرائه. ويغطي هذا الكشاف ما نشر في الصحف السعودية من سنة ١٣٥١هـ حتى نهاية سنة ١٤٢١هـ، وهي سنة وفاته، رحمه الله. ويتضمن تكشيف المواد الصحفية المنشورة العناصر الآتية: عنوان المادة المنشورة، واسم الصحيفة، واسم الكاتب، ورقم العدد، وتاريخ النشر، ورقم الصفحة.

وقد تم أيضاً تقسيم الكشاف إلى ثلاثة أقسام هي:

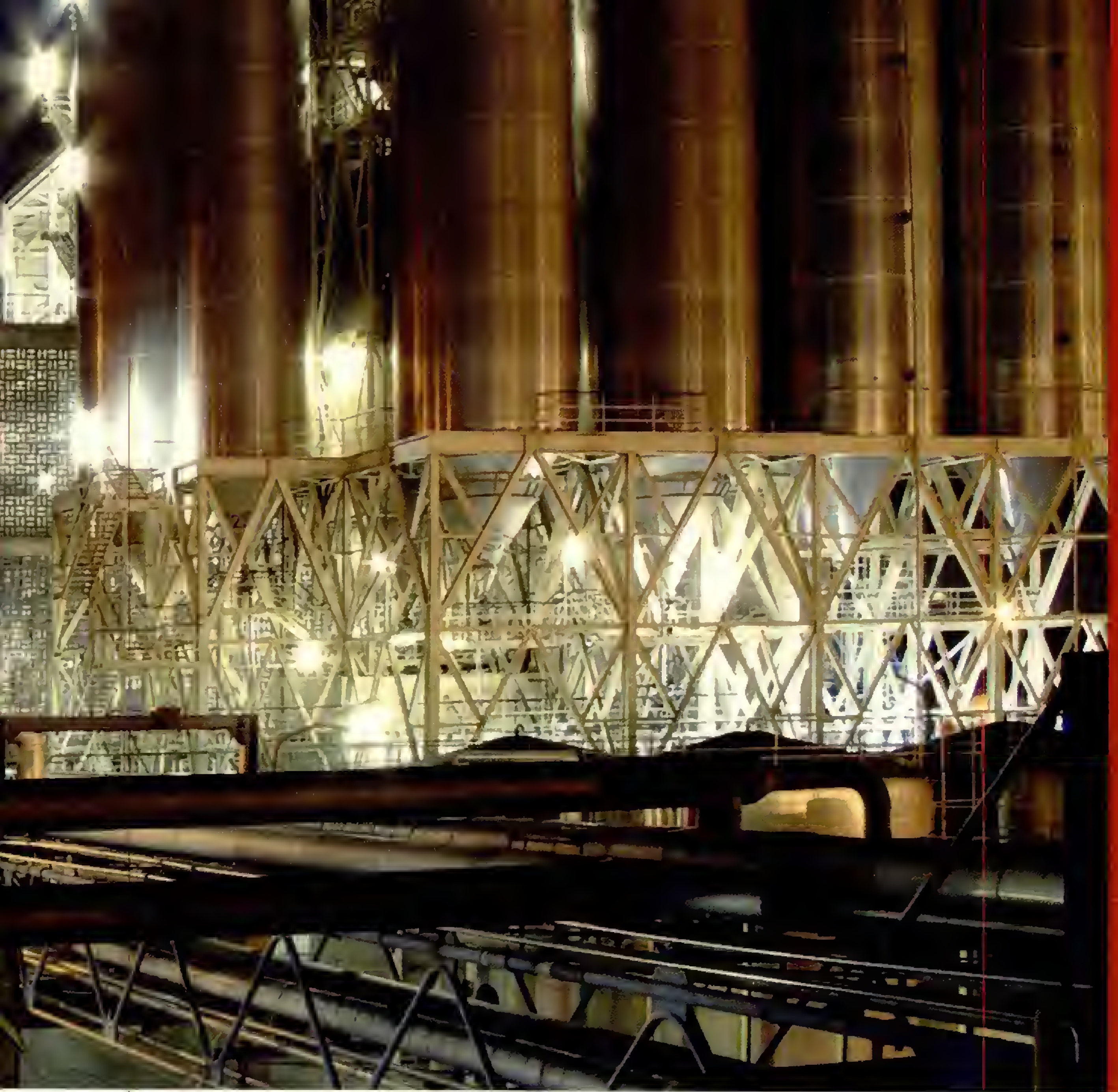
القسم الأول: كشاف بما نشر له وعنه مرتب ترتيباً تاريخياً.

القسم الثاني: كشاف بما نشر له مرتب ترتيباً تاريخياً.

القسم الثالث: ما نشر له وعنه في كل صحيفة على حدة.

والصحف التي يمثلها هذا الكشاف هي: صوت الحجاز، وأم القرى، والبلاد، والمدينة، وأخبار الظهران، والندوة، والقصيم، وعكاظ، والرياض، والجزيرة، واليوم، والشرق الأوسط، والمسائية، والحياة، والاقتصادية، والوطن.

وقد انتهى المركز من تصوير المواد المكشفة في هذا الكتاب، وهي متاحة للباحثين، والعمل جار على تصويرها إلكترونياً في المستقبل القريب إن شاء الله.



الاستثمار الأجنبي ..
القبول والرفض

عادل صالح ناصر طماح
بني مسوس - الجزائر



إن أهم مظاهر التحرر المالي واتجاهاته في عصرنا الحاضر - عصر العولمة - هو فتح الباب أمام الاستثمار، الذي يعد من أهم مصادر التمويل الخارجي الراهن، لذلك اتجهت دول العالم - المتقدمة منها والنامية - إلى محاولة اجتذاب هذا النوع من الاستثمار، الذي تتولى القيام به الشركات المتعددة الجنسيات Multinational Corporation، أو التي تعرف بالشركات العابرة Transnational Corporation. هذه الشركات التي أصبحت من ظواهر الاقتصاد الحديث؛ ذلك لأن لها اتساعاً كبيراً في العالم، إذ إنها تقوم ببناء مصانعها وبيع منتجاتها في كثير من دول العالم، وتقوم بتحويل مبالغ مالية ضخمة من بلد إلى آخر وفق احتياجاتها، كما أنها تقوم بتشغيل كثير من العمال والموظفين من جنسيات مختلفة، ولضخامة هذه الشركات فإن لها تأثيراً فعالاً في الاقتصاد العالمي.

ومن خصائص هذه الشركات أنها تصنع منتجاتها في

عدة دول، من خلال نظام توزيع متكامل يتجاوز الحدود القومية، ومن خصائصها أنها تمارس نشاطها في سوق تمتاز في الأغلب باحتكار القلة؛ أي: أنها ليست سوقاً تنافسية، وهذه الشركات لها تأثيرات في الدول المضيفة، بما تنتجه من سلع وخدمات لتغطية الطلب المحلي، أو لتصديرها، وما تقدمه من فرص عمل، وكذلك تأثيرها في ميزان المدفوعات للدولة التي تقيم بها.

وهذه الشركات بإمكانها التأثير في اقتصاديات الدول، ولاسيما المتخلفة منها، ولهذا فإن لها سلطة قوية تتخوف منها الدولة المضيفة؛ لذلك ففي حالة محاولة أي دولة القيام بأي سياسة تؤثر سلباً في هذه الشركات فإنها تقوم بأخذ الإجراءات المناسبة لها، وذلك بغلق فروعها من الدول المضيفة، ونقلها إلى دولة أخرى.



أهداف كثيرة وراء الاستثمار في دول أخرى

دوافع قيام الاستثمارات الأجنبية

يمكن القول: إن هناك دوافع كثيرة تؤدي إلى قيام الاستثمارات الأجنبية، ومن ذلك رغبة الدولة في قيام مثل هذه الاستثمارات على أراضيها، وعليه فسنقوم بالتفريق بين نوعين من دوافع الاستثمار الأجنبي: الأول دوافع تصدير المال الاستثماري، والثاني: دوافع استيراده واستقباله.

أولاً: دوافع تصدير الاستثمار الأجنبي:

كثيراً ما تلجأ الشركات أو الأفراد إلى الاستثمار في دول أخرى غير بلد المنشأ، سعياً منهم وراء تحقيق أهداف محددة، ومن أهم تلك الأهداف، ما يأتي:

- الحصول على المواد الخام من الدول المستثمر فيها، التي لا توجد في بلد المنشأ بالتكلفة ذاتها، ومن تلك المواد النحاس، والزنك، والبترول... إلخ؛ لأجل استخدامها في صناعاتهم.
- الاستفادة من وفورات الحجم على مستوى الإنتاج، فثمة حدّ لإنتاج بعض الصناعات، خصوصاً تلك التي لا تتحمل أعمال النقل لمسافات بعيدة كمشتقات الحليب، أو كالغاز السائل الذي يملأ في أوعية ثقيلة جداً.
- إيجاد أسواق جديدة لمنتجات الشركات الأجنبية وبضائعها، لتسويق فائض كبير من السلع الراكدة، التي لا تستطيع هذه الشركات تسويقها في موطنها.
- الاستفادة من ميزة انخفاض عناصر التكلفة في الدول المضيفة، مثل: رخص الأيدي العاملة.
- تقليل المخاطر التي تتعرض لها استثمارات الشركات الأجنبية، والإنتاج في بلد واحد، مثل: الحرب، والتأميم، أو المصادرة، وزيادة الرسوم الجمركية، أو وضع حد لكم المستورد، والخطر في حالة عمليات الإضراب، الذي قد يشل المبيعات في عدة بلدان على حد سواء. فتوزيع الاستثمارات وانتشارها على عدد أكبر من الدول يعمل على تقليل حجم المخاطر إلى الحد الأدنى المرغوب.
- تفادي قيام المضاربات المحلية بين المستثمر الأجنبي ومستثمري الدول المضيفة - التي تنشأ من الرسوم الجمركية، وتكاليف النقل، المضافة إلى كلفة الإنتاج من ذات الدول المضيفة - في حال كون السلع المنتجة تتمتع - نسبياً - ببعض المزايا المتشابهة،



الاستثمار الأجنبي يسهم في نقل الخبرات

وهذا الأمر قد يؤثر في مكانة المستثمرين الأجانب في السوق المحلية؛ مما يجعلهم مضطرين إلى إنشاء استثمارات مباشرة محلية.

- تفضيل المديرين المحليين للشركات الأم في الشركات المتعددة الجنسيات إيجاد وحدة صناعية في البلد المضيف، وهذا يكسب الفرع أهمية أكبر داخل المجموعة، ويسهل علاقاته مع البلد المضيف.
- الاستفادة من قوانين تشجيع الاستثمار، والإعفاءات الضريبية، التي تمنحها كثير من الدول المستثمر فيها، من أجل جذب الاستثمارات الأجنبية إليها، ومن أهمها: تقديم الحوافز الضريبية، وتوفير فرص استثمارية دائمة، وإعطاء ضمانات للمستثمرين، وتوفير أنظمة للمعلومات، وغيرها.
- سهولة قيام الشركات الأجنبية، بمنافسة الشركات والصناعات المحلية من ناحية الجودة، والأسعار، ونوع الخدمة؛ وذلك بسبب تملكها للتكنولوجيا المتقدمة، ووفرة رأس المال لديها.

كثيراً ما تلجأ الشركات أو الأفراد إلى الاستثمار في دول أخرى غير بلد المنشأ، سعياً منهم وراء تحقيق أهداف محددة

- الاستفادة من فرص تحقيق الربح في الدول المضيفة، إذ إن الشركات الأجنبية قد تحقق أرباحاً من استثماراتها الأجنبية تفوق بكثير أرباحها من عملياتها داخل موطنها.
- رغبة المستثمر الأجنبي في إمكانية فرض السيطرة الاقتصادية والسياسة على البلد المستورد لهذا الاستثمار. فكثيراً ما يتركز هذا النوع من الاستثمار في قطاعات اقتصادية أساسية بالنسبة إلى بلد المستورد (المضيف).

ثانياً: دوافع استقبال (استيراد) الاستثمار الأجنبي:

يمكن تلخيص دوافع الدول المستثمر فيها من وراء قبولها وتشجيعها للاستثمارات الأجنبية في النقاط الآتية:

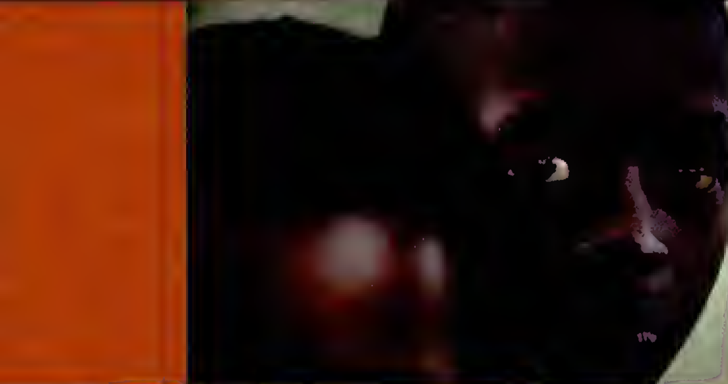
- تمويل التنمية الاقتصادية؛ إذ تلجأ الدول النامية إلى الاستعانة بالموارد والمدخرات الأجنبية، وعلى رأسها الاستثمارات الأجنبية في حال قصور الموارد المحلية غير التضخمية عن تمويل المعدلات المنشودة للاستثمارات القومية.

وبعبارة أخرى تنشأ هذه الحاجة إلى الموارد الأجنبية؛ لتغطية ما يسمى بالفجوة الادخارية، وفجوة الصرف الأجنبي، الناشئة عن قصور الموارد الخارجية التي تحصل عليها البلاد النامية من صادراتها المنظورة وغير المنظورة.

- الاستفادة من التكنولوجيا المتقدمة والخبرات الإدارية الجيدة في الدول الأجنبية، إذ إن قيام الشركات الأجنبية باستثمار أموالها

مشروعات محددة في دولة معينة يتضمن نقل التكنولوجيا، وتوظيف الخبرات الإدارية النادرة في كثير من الأحوال.

- الإسهام في حل مشكلة البطالة؛ وذلك بتشغيل عدد من العاطلين عن العمل في المشروعات التي يتم إنشاؤها.
- الإسهام في زيادة الصادرات، وتحسين ميزان المدفوعات للدولة المستثمر فيها، وخصوصاً عند قيام المشروعات المعنية بتصدير منتجاتها إلى الخارج.
- التقليل من الواردات، وذلك من خلال زيادة الإنتاج المحلي، إذ يساهم الإنتاج المحلي باستبدال السلع المنتجة محلياً بالسلع المستوردة.
- تدريب العاملين على الأعمال الإدارية وعلى استخدام وسائل الإنتاج المتقدمة، التي تعود نتائجها على كل من المشروع والفرد نفسه.





أين موقع الفقراء في خريطة الاستثمار؟



نظريات الاستثمار الأجنبي

هناك وجهات نظر خاصة بالاستثمار الأجنبي، ومنها وجهة نظر الكلاسيكيين، الذين يفترضون أن الاستثمارات الأجنبية ما هي إلا مباراة من طرف واحد، والفائز بنتيجتها هو الشركات المتعددة الجنسية، وليس الدول المضيفة، وأن المنافع الكثيرة، التي تحققها هذه الاستثمارات، تعود في معظمها على هذه الشركات.

الاستثمارات الأجنبية ما هي إلا مباراة من طرف واحد، والفائز بنتيجتها هو الشركات المتعددة الجنسية، وليس الدول المضيفة

وقد أسند الكلاسيكيون وجهة نظرهم بعدد من المسوغات يمكن تلخيصها بما يأتي:

- صغر حجم رؤوس الأموال الأجنبية المتدفقة إلى الدول المضيفة بدرجة لا تسوغ فتح الباب لهذا النوع من الاستثمارات.
- تميل الشركات المتعددة الجنسية إلى تحويل أكبر قدر ممكن من الأرباح المتولدة من عملياتها إلى الدولة الأم، بدلاً من إعادة استثمارها في الدولة المضيفة.
- قيام الشركات المتعددة الجنسية بنقل التكنولوجيا، التي لا تتواءم مستوياتها مع متطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الدولة المضيفة.
- أن ما تنتجه الشركات المتعددة الجنسية قد يؤدي إلى إيجاد أنماط جديدة للاستهلاك في الدول المضيفة، لا يتلاءم ومتطلبات التنمية الشاملة في هذه الدول.
- قد يترتب على وجود الشركات المتعددة الجنسية اتساع الفجوة بين أفراد المجتمع فيما يختص بهيكل توزيع الدخول؛ وذلك من خلال ما تقدمه من أجور مرتفعة، بالمقارنة بنظيراتها من الشركات المحلية، ويترتب على هذا خلق الطبقة الاجتماعية.
- وجود الشركات الأجنبية قد يؤثر بصورة مباشرة في سيادة الدولة المضيفة واستقلالها.
- يرى أنصار هذه النظرية أن الفكرة القائلة: إن الاستثمارات الأجنبية يمكن أن تؤدي إلى القضاء على البطالة غير صحيحة؛ لأن المتعارف عليه حالياً أن كثيراً من الشركات الضخمة في حالة إدماجها أو ابتلاعها شركات أخرى في الغالب تكون مصحوبة بتسريح العمال.
- أن التنافس بين الدول النامية في استقطاب الاستثمارات الأجنبية جعلها تقدم تنازلات كبيرة حول حقوق العمال، وتقدم تسهيلات ضريبية؛ وهذا ما يؤدي إلى استغلال العمال، بحصولهم على أجور لا تتجاوز الحد الأدنى للأجور؛ وذلك من أجل تحقيق أهداف الشركات المتعددة الجنسيات والدول المضيفة؛ لكي تحافظ على قوتها التنافسية، كما أن هؤلاء العمال يمنعون من ممارسة أنشطتهم النقابية في حالة محاولة القيام بذلك، فإنهم يطردون أو يعذبون.
- أن هذه الشركات الاستثمارية أصبحت تواجه معارضة كبيرة

في بلدانها، في بعض القطاعات الصناعية، التي أصبحت سبباً في حدوث مشكلات بيئية. وهذا ما جعلها تقوم بنقل هذه الصناعات إلى الدول النامية، وهذا ما تسبب في زيادة معدل التلوث والفساد في المياه والتربة، ومن ثم فإن كل ما يحصل عليه من هذه الأرض يعد مسموماً وملوثاً.

أما أصحاب وجهة النظر المؤيدة للاستثمارات الأجنبية المباشرة، التي تعرف باسم النظرية الحديثة، فإنهم يبنون نظريتهم على افتراض أساسي مضمونه: أن كلاً من طرفي الاستثمار – الشركات المتعددة الجنسية والدول المضيفة – تربطهما علاقة المصلحة المشتركة، وكلاً منهما يعتمد ويستفيد من الآخر لتحقيق هدف أو مجموعة من الأهداف المحددة، غير أن حجم العوائد، التي يحصل عليها كل طرف تتوقف – إلى حد كبير – على سياسات الطرف الآخر وممارساته بشأن الاستثمار، الذي يمثل أساس العلاقة بينهما. ويرى أصحاب هذه النظرية أن الاستثمار الأجنبي يساعد على تحقيق الآتي للدول المضيفة:

- التخفيف من شبح البطالة، من خلال توفير فرص العمل.
- زيادة رفع مستويات الأجور للعمال؛ وذلك لزيادة الطلب على اليد العاملة المتخصصة.
- الاستغلال والاستفادة من الموارد المادية والبشرية المحلية المتاحة، والمتوافرة لدى هذه الدول.
- المساهمة في إيجاد علاقات اقتصادية بين قطاعات الإنتاج والخدمات داخل الدولة المعنية، وهذا يساعد على تحقيق التكامل الاقتصادي بها.
- إيجاد أسواق جديدة للتصدير، وإيجاد علاقات اقتصادية بدول أخرى وتنميتها.
- تقليل الواردات من خلال قيام هذه الشركات بإنتاج منتجات تحل محل الواردات، التي تأتي من الخارج، وهذا ما يؤدي إلى زيادة هذه الدول في استعمال مواردها المالية القليلة في أنشطة أخرى.
- تحسين ميزان المدفوعات للدولة المضيفة، إذ يؤدي تصدير الفائض من منتجات هذه الشركات إلى الأسواق الأجنبية إلى تحسين ميزان المدفوعات، والتخفيض من الخلل في الميزان التجاري.
- إن وجود ظروف المنافسة يسمح بتطوير روح المبادرة

تؤدي الاستثمارات الأجنبية إلى زيادة إيرادات الدولة في شكل رسوم وضرائب عند إقامتها، أو على نشاطها

والخبرة، وذلك بتوفير نسبة استثمارية مناسبة. تؤدي إلى تشجيع القطاع الخاص المحلي، والمستثمرين الأجانب على توسيع أنشطتهم في الدول النامية.

- المساهمة في تدريب القوى العاملة المحلية.
- قد يؤدي الاستثمار الأجنبي إلى التخفيف من حدة التضخم، الذي تعاني منه الدول النامية. وذلك بتوفير السلع والخدمات المنتجة وطنياً وبأسعار معقولة كانت في السابق غير متوافرة بأسعار مرتفعة.
- من الممكن أن تؤدي هذه الاستثمارات الأجنبية إلى زيادة إيرادات الدولة في شكل رسوم وضرائب تفرض على هذه المشروعات عند إقامتها، أو على نشاطها عند القيام بعملية الإنتاج والتسويق والتصدير، وهذا ما يساعد على التخفيف من عجز ميزانية الدولة النامية.

نتيجة:

من كل ما سبق ذكره يمكن أن نصل إلى نتيجة مضمونها أن مسألة قبول الدول أو رفضها، وبخاصة النامية منها للاستثمارات الأجنبية لم تعد مسألة ترفيه أو مزاجية. بل أصبحت مسألة حتمية، أو بمعنى أدق اضطرارية على قاعدة المثل المتداول (مكره أخوك لا بطل) فقضية مساهمة الشركات الاستثمارية الأجنبية في النشاط الاقتصادي، وفي جهود التنمية بصورة عامة في البلدان النامية. تطرح في الوقت الراهن بحدة؛ بسبب أزمة المديونية الخارجية، التي تعاني منها البلدان النامية. فكثير من هذه البلدان المدينة لا سيما منها المتوفرة على موارد طبيعية مهمة تزداد ديونها باستمرار، على الرغم من تخصيصها مبالغ مالية ضخمة من عائدات صادراتها لتسديد تلك الديون. فبعض هذه البلدان تصدر من الرساميل أكثر مما تتلقاه من الخارج.

إن أزمة المديونية قد أثارت مشكلة قدرة البلدان النامية على الحصول على الرساميل في الأسواق المالية الدولية، وتعبئتها لترقية تنميتها الاقتصادية. ففي هذه البلدان يلاحظ أن انخفاض مداخيل الأفراد وتخصيصها تقريباً كلية لشراء السلع الاستهلاكية، وسد الحاجيات الأولية، أدى إلى ضعف الادخار. كذلك فإن ضآلة إيرادات الجباية، التي تعود بدورها إلى تدني مستويات الإنتاجية، وإلى انهيار أسعار المواد الأولية القابلة للتصدير أدت إلى نقص قدرات الاستثمار وتراجعها. كل هذه العوامل ساعدت على بلورة الاتجاه أو النظرية السائدة حالياً والمتمثلة في الترحيب باستعانة البلدان النامية بالاستثمار الأجنبي أملاً في مساهمته بصورة فعالة في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وختاماً فإن إشكالية التعامل مع الشركات المتعددة الجنسيات في ظل العولمة بالنسبة إلى الدول النامية عموماً، والعربية خصوصاً موضوع معقد الجوانب، إلا أنه يجب التعامل معه بكل حذر وعقلانية.

الهوامش والمراجع

❖ يجدر بنا أن نفرق بين الاستثمار الأجنبي المباشر - وهو المقصود في موضوعنا - والاستثمار الأجنبي غير المباشر، فالاستثمارات الأجنبية غير المباشرة تعرف بأنها: تملك الأجنبي عدداً من السندات أو الأسهم في إحدى الشركات المحلية بصورة لا تمكنه من السيطرة أو الرقابة على أعمالها. مقابل حصوله على عائد نظير هذه المشاركة المتمثلة بالأسهم والسندات.

بينما نجد أن المستثمر الأجنبي المباشر يملك المشروع بالكامل أو الأغلبية العظمى من أسهم المشروع وسنداته؛ وهذا يخوله حق السيطرة والرقابة والمشاركة في تنظيم المشروع الاستثماري وتنظيمه.

١ - الاستثمار الأجنبي المباشر في الدول الإسلامية في ضوء الاقتصاد الإسلامي، محمد عبدالعزيز عبدالله عبد، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م

٢ - الآثار المترتبة على الاستثمارات المباشرة للشركات متعددة الجنسيات، بلعيد بعلوج، مجلة العلوم الإنسانية العدد (٣)، أكتوبر ٢٠٠٢ م، جامعة محمد خيضر، بسكرة - الجزائر.

٣ - مضمون وأهداف الأحكام الجديدة في المرسوم التشريعي ٩٣/ ١٢ المتعلق بترقية الاستثمار، محمد يوسفي، مجلة إدارة، المجلد ٩ العدد (٢)، ١٩٩٩ م، المدرسة الوطنية للإدارة، الجزائر.

قصيدة

التربية القدسية

ناصر لوحيشي
قسنطينة - الجزائر

مــــاذا أقـــولُ؟ وذاكَ الـقـولُ لمْ يُـفِـدِ
عـمّـا أُحَــــدِّثُ يـا أحـــزانُ فـابـتـعِـدي
يـا شـمـسَ يـومـيَ يـا مـن طـال مـوعـدُهـا
قـد رُحــتُ أبـنـي قـصـورَ الحُـلْـمِ في خَـلَـدي
ورحــــتُ أتــبــعُ أنـفـاسـي عـلـى مَـضَـضٍ
ورحــــتُ أحـسُــو مـيـاهَ الآهِ والجَـلَـدِ
ورحــــتُ أجـمـع أجــزائـي وأنــثُرهُــا
وبُــحــت بـالـسـرِّ لـلأمـطـار لـلـبَرَدِ
ولي.. ؟ آه أيتُها الأحرف والمُشتهاة
أردّدها هل أصوِّتُ؟
إنّ اللسانَ اعتراهُ الذهولُ الخفيّ
وهذا الظَّما طالَ،
يا أيها البحر لا، لا تَسَلْ
أنت علَّمتني حين أذكرها
كَيْفَ تَرقُصُ هذه اللَّهاة
لا تَسَلْني فأنت الخبير الحَفِيّ
لكم واوُكم أيها الشّعراء
ولي ما تَبَقَّى من التربة القُدُسيَّةِ
مهما استطال الخريف،
لكم أيها الشعرا.. رَعْدُكم بَرْقُكم
وحَسْبَي ممّا تبقَّى
وحسبي هذا الحَفيف
لكم واوُكم أيها المائلوُن
ولي هذه الواوُ قد سكنتْ شريانَ الجسَدْ
تُعانقها الطاءُ
تحتلّ كلَّ المساحات تجثو،
وترسل ناظَرها مثل كلّ وَلَدْ
إنّ دمعي بَلَدْ
صار دمعي بلَدْ
أيها البحر ذَرْني وما يَسْطُرون
آه أيتها النونُ يا نفحةً
هل أعدُّ النشيد
نفخةً في الرمادْ
أم ألوم الوريد
لومةً لا تُعيد المُرادْ؟
آه أيتها النونُ إنّي
أريدك مكسورةً قُرب تلك العيون
ومرفوعةً دائماً..

في الفؤادْ
ومهما استقام الألَمْ
أنتِ ذاتُ العماد
نعم، لَكُمْ واوُكم في الربيع، الشتاء
ولي - ما حييتُ - دمي قد تَسَرْبل بالغيثِ
وامتدّ ساعدُه كي يُعيد الثواني
إلى هذه الخُضرة المُرّ مَرِيَّة
كي يعتلي فيرَى ما يخطّ القَلَمْ
نعم،

أريدك أيتها الأحرفُ اليومَ قائمةً كالنَدى
وفاتنة،
للفصول البعيدةِ
لا فتة
كالصدى
أنت ذاتُ العماد
أريدك كالأمس كوني غدا
أريدك مكسورةً قرب تلك العيون
ومرفوعةً دائماً. دائماً
في الفؤادْ



المستشرقون

وقضية بني قريظة

محمد بن فارس الجميل

الرياض - السعودية

يمكن إجمال العلاقة بين الرسول صلى الله عليه وسلم ويهود بني قريظة، بأنها بدأت بالمحاجة في الدين، ثم الموادعة بين الفريقين، وربما بعد انتصار بدر الساحق في السنة الثانية للهجرة (٢هـ/ ٦٢٤م) دخل يهود بني قريظة في المعاهدة الشاملة، التي دخل فيها غيرهم من القبائل اليهودية، وأصبحت ملحقة بصحيفة المدينة. وليس من المستبعد أن بني قريظة انحازوا إلى المشركين ضد المسلمين في يوم أُحد، حيث أعانوهم بالسلاح كما جاء في بعض الروايات [١].

ومن المحتمل كذلك أنه بعد إجلاء بني النضير في السنة الرابعة من الهجرة (٦٢٦م) تأزمت العلاقة بين المسلمين وبني قريظة، وهذا ما دعا إلى كتابة معاهدة أخرى بينهم وبين المسلمين [٢]، ويظهر أن تلك المعاهدة لم يكتب لها أن تستمر طويلاً، إذ ضعف بنو قريظة أمام إلحاح الأحزاب وإغرائها لهم بنقض عهدهم مع المسلمين في السنة الخامسة للهجرة (٦٢٧م). وهذا دفعهم إلى تمزيق [٣] المعاهدة، وتنكرهم للمسلمين، وتهديدهم للآطام التي فيها نساء المسلمين وذراريهم، وتهديدهم للسابلة [٤]، ما حدا بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى محاولة الاتفاق مع غطفان أحد أطراف التحالف ضد المسلمين على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة مقابل انسحابهم من التحالف وتخذيلهم الناس [٥]. بل إن خطورة نبذ بني قريظة العهد بالنسبة إلى المسلمين كان أشد عليهم من خطر الأحزاب، إذ أصبحوا يخافون أشد الخوف على أهليهم وذراريهم من اليهود أكثر من خوفهم من الأحزاب [٦].

لذلك، فما إن انسحبت الأحزاب من المدينة تجر أذيال الإخفاق والخيبة، حتى سارع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محاصرة بني قريظة. مستجيبًا بذلك لأمر ربه، وانتهى الحصار كما وصفه الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ (الأحزاب: ٢٦).

كان قرار مواجهة الأحزاب قرارًا دفاعيًا اتخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم: لحماية المدينة من كيد قوى الشر المتحالفة. إن أمر المسير إلى بني قريظة. كان أمرًا إلهيًا لا دخل لمشيئة النبي صلى الله عليه وسلم فيه، إذ إنه منفذ لمشيئة الله. لذلك فقد أمر مناديه أن ينادي في أرجاء المدينة «لا يصلينّ أحد العصر إلا في بني



قريظة»[٧] وجاء عند مسلم عن عبدالله بن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى في الناس يوم انصراف الأحزاب «أنْ لا يصلّينَّ أحد الظهر إلا في بني قريظة»[٨] وتلاحق به الناس. وكان ذلك في يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة، فحاصرهم خمسة عشر يومًا، ثم انصرف يوم الخميس لسبع خلون من ذي الحجة سنة خمس للهجرة[٩].

تحكيم سعد بن معاذ واستسلام بني قريظة

فلما أصبح يهود بني قريظة في اليوم التالي، نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر بأسراهم فكتفوا رباطًا، وجُعل على كتافهم محمد بن مسلمة، ونحّوا ناحية، وأخرجوا النساء والذرية من الحصون. فتواثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت. فقال لهم الرسول: «ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم»؟ قالوا: بلى. قال: فذاك إلى سعد بن معاذ[١٠]. فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى سعد فأتى على حمار، فلما دنا من المسجد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار: «قوموا إلى سيدكم، أو خيركم» قال: «هؤلاء نزلوا على حكمك». فقال: تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قضيت بحكم الله»، وربما قال: «بحكم الملك»[١١]. وجاء في حديث آخر رواية عن عائشة أم المؤمنين، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني قريظة فنزلوا على حكمه، فرد الحكم على سعد، قال: فإني أحكم فيهم: «أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم»[١٢].

وبعد صدور حكم سعد بن معاذ، استنزلوا، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في دار بنت الحارث، امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق[١٣]. وفي رواية للواقدي ربما أنها أكثر تفصيلاً من رواية ابن إسحاق، قال فيها: فأمر بالسبي فسيقوا إلى دار أسامة بن زيد، والنساء والذرية إلى دار ابنة الحارث، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحمال التمر فنثرت عليهم فباتوا يكدمونها كدم الحمر، ثم غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السوق فأمر بخدود فخُدَّت ما بين موضع دار أبي جهم العدوي إلى أحجار الزيت بالسوق، ودعا برجال بني قريظة فكانوا يخرجون رسلاً رسلاً، تضرب أعناقهم فلم يزالوا يقتلون بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان الذين يلون قتلهم علي والزبير، ثم قال رسول





خبر بيع نساء بني قريظة غير متفق عليه، فمرة بعث بهم إلى نجد، ومرة إلى الشام ونجد، ومرة بيعوا في المدينة

الله صلى الله عليه وسلم: «أحسنوا إسارهم وقيّلوهم، واسقوهم حتى يبردوا، فتقتلوا من بقي، لا تجمعوا عليهم حر الشمس وحر السلاح». وكان يومًا صائفًا فقيّلوهم وأسقوهم وأطعموهم فلما أبردوا راح رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل من بقي[14].

واختلفت المصادر في عدد من قتل من يهود بني قريظة، فذكرت أنهم ما بين الأربعمئة إلى التسعمئة[15]. وواضح أن هذه الأرقام لا تنقصها المبالغة.

فقد نقل لنا أبو الزبير، عن جابر بن عبدالله قوله: إن بني قريظة نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكم أن يقتل رجالهم ويستحيي نساؤهم؛ يستعين بهم المسلمون. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أصبت حكم الله فيهم، وكانوا أربعمئة. فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات[16].

هذه الرواية الأخيرة، أي رواية أبي الزبير عن جابر بن عبدالله لا إشكال في سندها. سوى أن الجملة الأخيرة في الرواية قد تكون موضع تساؤل، فعبارة «وكانوا أربعمئة» ليس واضحًا هل هي جزء من حديث جابر بن عبدالله، أم أنها زيادة في الإيضاح أدخلها أبو الزبير؟

وقريب من رواية جابر ما نقله ابن هشام عن أبي عمرو المدني، أنه لما ظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة أخذ منهم نحوًا من أربعمئة رجل من اليهود فأمر بأن تضرب أعناقهم[17]، وهي رواية إضافة إلى انقطاع سندها لا تخلو من إشكال فيما يتعلق بعدد من قتل من يهود بني قريظة، فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخذ منهم أربعمئة وأمر بضرب

نزل بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ، فحكم أن يقتل رجالهم ويستحيي نساؤهم؛ يستعين بهم المسلمون

رقابهم فكم يكون عدد الذين منّ عليهم. ثم أين حكومة سعد بن معاذ، التي تحدثت عنها مصادر السيرة والسنة على السواء؟

أما الرواية الأخيرة بهذا الصدد فهي رواية الزهري. قال ابن زنجويه: «ثنا عبدالله بن صالح حدثني الليث بن سعد، حدثني عقيل عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غدا إلى بني قريظة، فحاصرهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فقضى بأن يقتل رجالهم، وتقسم ذراريهم وأموالهم. فقتل منهم يومئذ أربعون رجلاً، إلا عمرو بن سعد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه كان يأمر بالوفاء، وينهى عن الغدر فلذلك نجا»[18].

ومما يشجع على قبول رواية الزهري، أنها جاءت متصلة السند، ولم يقدح المحدثون في رجالها، وعلى وجه الخصوص عقيل ابن خالد راوية الزهري المباشر، إضافة إلى أن العدد «أربعون» ربما يكون أقرب إلى الواقع. ويجب كذلك ملاحظة سهولة تحريف العدد من «أربعين» إلى أربعمئة. وما من شك في أنه إذا أعيد النظر في رواية أبي عمرو المدني المتصلة بأخذ النبي صلى الله عليه وسلم أربعمئة من اليهود، وقورنت مع رواية الزهري، جاز لنا أن نفترض أن رواية أبي عمرو قد تعرضت للتحريف فأصبح الأربعون أربعمئة، وهذا أمر ليس نادر الحدوث. علمًا أن القول: فأخذ منهم أربعين أقرب إلى المنطق من الأربعمئة، حيث إن ذلك ربما ينصرف إلى عدد القياديين منهم ليس غير.

أما الدارسون المحدثون فمنهم من يميل إلى أن القتلى كانوا أربعمئة[19]، ومنهم من يرى أنهم مئتان أو مئتان وخمسون[20]. ومنهم من يذهب إلى أن القتل نفذ في عدد قليل لم يحدده[21]. أما آخر هؤلاء الدارسين فيظن أن عدد من قتل من بني قريظة ربما لم يتجاوز ستة عشر رجلاً[22].

على كل حال، إذا كان لنا أن نغض النظر عما جاء في دراسات المحدثين من التقديرات المختلفة لعدد من قتل من بني قريظة، فربما كانت رواية ابن شهاب التي انفرد بذكرها ابن زنجويه التي تحدد عدد من قتل منهم بأربعين رجلاً أجدر بالقبول، هذا إذا كانت العقوبة قد نفذت ببعض القياديين من يهود بني قريظة.

أما إذا كانت العقوبة جماعية، وأنها شملت - حسب رواية جابر بن عبدالله - أربعمئة رجل، فإن مثل هذه المقتلة الجماعية تثير بعض التساؤلات مثل: هل كان كل الأربعمئة رجل في حالة صحية



إرفنج



الفلسطينيون .. معاناة لها تاريخ

تسمح للرسول صلى الله عليه وسلم بتنفيذ حكم الإعدام فيهم؟ أي ألم يكن فيهم مرضى؟ ألم يكن فيهم زَمنى؟ ألم يكن فيهم مقعدون؟ ألم يكن فيهم عميانا؟! ألم يكن في بعضهم اضطراب عقلي؟

في حقيقة الأمر أن الروايات التي تحدثت عن تنفيذ حكم القتل في بني قريظة لم تتطرق لشيء من هذا، بل اكتفت بتأكيد تنفيذ العقوبة. ولكن إذا كانت العقوبة قد نفذت فعلاً في هذا العدد الكبير نسبيًا من اليهود فما الداعي لإحضارهم إلى سوق المدينة وقتلهم هناك. ألم يكن من المناسب جدًا أن يقتلوا في ديارهم؟ ويوفر المسلمون بذلك على أنفسهم عناء تسييرهم إلى المدينة واستضافتهم في بعض دورها. فضلاً عما قد يصاحب عملية القتل الجماعي هذه من بعض الظواهر السلبية. وخصوصاً فيما يتعلق بانتشار بعض الأمراض والأوبئة[٢٣].

إن مثل هذه الأسئلة المشروعة قد تفقد قيمتها إذا ثبت حقًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بنقل هذا العدد الضخم من اليهود إلى المدينة، ثم ضرب رقابهم هناك. فهو أدرى بعواقب مثل هذا التصرف.

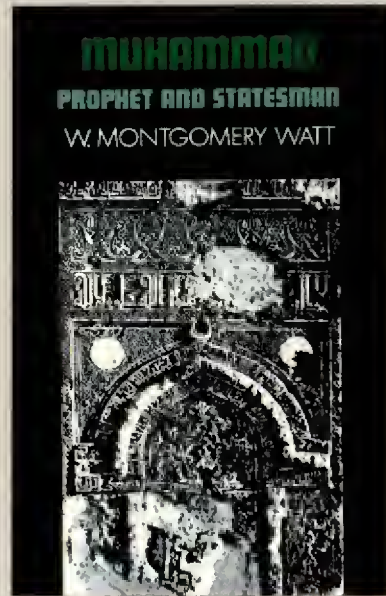
وإذا انتقلنا إلى الشق الثاني المتعلق بأسرى بني قريظة، وهم النساء والذرية فنجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم نقلهم إلى المدينة، وكان تعدادهم ألف نفس من النساء والصبيان[٢٤]. وبعد أخذ الخمس منهم باع الباقي فيمن يزيد، بل حسب بعض الروايات أرسل أعدادًا منهم إلى نجد والشام ليباعوا هناك ويشترى بثمنهم خيلاً وسلاحًا[٢٥].

ولكن خبر بيع نساء بني قريظة غير متفق عليه، فمرة بعث بهم إلى نجد، ومرة إلى الشام ونجد، ومرة بيعوا في المدينة من عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف، وأخيرًا بيعوا من يهود المدينة وخيبر وتيماء[٢٦]. ومثل هذا الاختلاف في الروايات ربما يجعل بيعهم خارج الحجاز أمراً مشكوكاً فيه، خصوصاً أن الثمن غير مجز. فقد ذكر محمد بن مسلمة، أنه اشترى من السبي ثلاثة، امرأة ومعها ابناها بخمسة وأربعين دينارًا[٢٧]، أي: أن ثمن النفس الواحدة خمسة عشر دينارًا ليس غير. واشترى أبو الشحم اليهودي من السبي امرأتين مع كل واحدة ثلاثة أطفال غلمان وجوار بخمسين ومئة دينار[٢٨]، أي: أن ثمن كل نفس أقل من تسعة عشر دينارًا.

لذلك إذا كانت هذه الأثمان دقيقة فإنها لا تشجع على نقل هذه الأعداد الكبيرة من الأسر اليهودية عبر صحارى نجد والشام،

مع ما قد يرافق ذلك من المخاطر لأجل بيعهم بثمن زهيد مثل الذي ذكرنا طرفًا منه هنا. ولهذا فإنه من الواضح أن تكلفة نقل تلك الأسر لبيعهم خارج الحجاز ربما فاقت الثمن المرجو منها.

وأخيرًا، هل كل النساء والصبيان من سبي بني قريظة كانوا صالحين من الناحية الصحية والجسمانية للبيع؟ أي: أليس



أحد كتب المستشرقين

فيهم طاعنون في السن، أو زمنى؟ أو مقعدون، أو ذوو عاهات مختلفة ربما صارت حائلاً دون بيعهم. وإذا كان الأمر بالإيجاب، فماذا كان مصيرهم؟

وفي ضوء هذه الأسئلة المتقدمة، هل لنا أن نفترض أن مؤرخي السيرة المتقدمين قد بالغوا في وصف ما حل ببني قريظة رغبة في إظهار قوة الإسلام والمسلمين، وغاب عن بالهم في الوقت نفسه الاعتبارات الموضوعية الأخرى التي أشرنا إلى بعض منها هنا؟ إنه افتراض غير مستبعد.

ومهما كان الاختلاف في عدة من قتل من بني قريظة، وهم الذين ارتكبوا الخيانة العظمى في وقت الحرب ضد الدولة، التي يعيشون في ظلها، فإن ذلك لا يقارن بالمذابح التي ارتكبها الصليبيون في حق المسلمين، بالمسجد الأقصى سنة ٤٩٢هـ، ولا يقارن كذلك بالمذابح التي ارتكبها اليهود ضد الفلسطينيين في دير ياسين، وغيرها من القرى (١٩٤٧م- ١٩٤٨م)، ولا كذلك المذابح التي أقدم عليها الصرب في البوسنة قبل سنيات خلت في حق أكثر من (٨ آلاف) مسلم، وذلك تحت سمع الأمم المتحدة وبصرها. وفي قلب ما يطلق عليه العالم المتحضر أي أوربا! وهي مذابح لا يمكن تسويغها ولا الدفاع عنها.

هذا سرد وجيز لمجمل العلاقة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهود بني قريظة، وما آل إليه مصيرهم حسب ما أوردته المصادر الإسلامية.

أما المستشرقون المهتمون بأمر تلك العلاقة، فإن لهم وجهات نظر مغايرة وتفسيرات شتى سنتعرف إلى بعض منها:

يمكن القول: إن المستشرقين في نظرتهم إلى قضية بني قريظة، وخصوصاً فيما يتعلق بتهمة تآمرهم مع العدو، والحكم الذي صدر بحقهم، ينقسمون إلى فريقين. فريق معتدل إلى حدٍ ما، وفريق مغالٍ في انحيازه إلى الطرف الآخر؛ أي: اليهود.

أما أبرز من يمثل الرأي المعتدل فإليك طائفة منهم

فنسنك مثلاً يرى أن يهود بني قريظة ألغوا مبدأ التفاهم في أثناء حصار الأحزاب للمدينة. لذلك لم يجد محمد صلى الله عليه وسلم وسيلة أخرى سوى إبادتهم؛ لأنه لو طردهم خارج المدينة مثلما فعل مع بني النضير فسيتحدون مع خيبر القوية، ويصبحون خطرًا كبيرًا على المدينة[٢٩].

وقالت كيرين آرمسترونج K. Armstrong: «إن بني قريظة أوشكوا أن يدمروا المدينة، فلو أن محمداً أطلق سراحهم فإنهم سيعملون على زيادة معارضة اليهود في خيبر، ويقومون بهجوم آخر ضد المدينة. لذلك فإن المعركة الدموية من أجل البقاء ستستمر إلى ما لا نهاية»[٣٠].

ويعزو تور أندريه Tor Andrae معاقبة الرسول صلى الله عليه وسلم بني قريظة بسبب إدراك النبي صلى الله عليه وسلم الخطر الذي يشكلونه، وكذلك بسبب ما أظهروه من عدم جدارتهم بالاعتماد عليهم في وقت الشدة. لذلك يفسر أندريه قسوة الحكم



الصادر بحق بني قريظة بسبب رفضهم النبي صلى الله عليه وسلم واحتقارهم له، بل إنهم في وقت من الأوقات هددوا بتدمير سلطته النبوية تدميرًا كاملاً[٣١].

أما مكسيم رودنسون Maxim Rodinson فعلى الرغم من اتهامه المصادر الإسلامية بالمبالغة في تصويرها مؤامرة بني قريظة إلا أنه يتفق مع كل من فنسنك وأرمسترونج بعدالة العقوبة التي أنزلت بهم التي أسفرت عن قتل ما بين (٦٠٠و٩٠٠) رجل حسب زعمه[٣٢].

ثم يقول: إن مذبحة بني قريظة يمكن عدها من وجهة نظر سياسية بحتة، أنها كانت في غاية الحكمة؛ لأن قريظة كانت مصدر تهديد دائم في المدينة. فإذا أطلق سراحهم فإنهم سيكونون قوة لمركز التآمر في خيبر. بل أكثر من ذلك إن قتلهم سيساعد على تثبيط العدو وإخافته. من ناحية سياسية كذلك، فإنه مما لا يمكن إنكاره أن قتلهم كان الاختيار الأفضل. ثم يردف رودنسون قائلاً: إنه في فجر شهر مايو عام ٦٢٧م، وبعد مقتل بني قريظة، أصبح محمد صلى الله عليه وسلم في وضع يواجه من خلاله المستقبل بثقة[٣٣].

كما يعترف إسرائيل ولفنسون صراحة أن وجود بني قريظة كان خطرًا يهدد سلامة المدينة، إذ قال: «ومهما يكن من شيء فقد تخلص المسلمون من خطر جسيم كان يهدد كيان نهضتهم، وينذر بسقوط يثرب»[٣٤].

ولكن ولفنسون على الرغم من هذا الاعتراف لا ينسى أن يلقي باللائمة في ما حل ببني قريظة على حلفائهم الأوس[٣٥]. وقد غاب عن بال ولفنسون أن الإسلام قد غير القلوب[٣٦].

ويلاحظ كذلك أن فرانسيسكو جابريلي F. Gabrieli يعترف أن يهود بني قريظة كانوا في أثناء أزمة الحصار يشكلون طابورًا خامسًا محتملاً خلف ظهر النبي صلى الله عليه وسلم، بينما بقوا ظاهريًا على الحياد، وكانوا على اتصال بالعدو، ثم يمضي قائلاً: لذلك وبتأييد من حلفاء بني قريظة من الأوس استبعد النبي صلى الله عليه وسلم أي نوع من اعتبارات العطف على اليهود، وتصرف معهم دون رحمة بقدر ما تسمح به قواعد الحرب في عصره[٣٧].

ويرى بودلي Bodly أن بني قريظة فجروا في عهدهم، وغدروا، وتآمروا على الدولة مع الأعداء في زمن الحرب، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم في عقوبته يهود بني قريظة لم يخرج عن التعليمات التي وضعها قومهم في الإصحاح العشرين من سفر تثنية الاشتراع. ثم يردف بودلي قائلاً: ولو أن محمدًا صلى الله عليه وسلم أظهر ضعفًا أو ترددًا في عقوبة بني قريظة لما عاش الإسلام أبدًا. لهذا ومنذ ذلك الوقت أصبحت القبائل العربية الوثنية، وكذلك اليهود، يفكرون أكثر من مرة قبل أن يقفوا في وجه محمد صلى الله عليه وسلم الذي قرر السير في طريقه حتى النهاية[٣٨].

أما مونتجمري واط M. Watt فيرفض الدعوى القائلة: إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ضغط على سعد بن معاذ للحكم على بني قريظة كما فعل. فيقول: لقد أدرك رجل بعيد النظر مثل سعد أن السماح للعصبية القبلية بالتغلب على الولاء للإسلام يؤدي إلى الحروب بين الإخوة، التي كانت المدينة ترجو التخلص منها بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم[٣٩].





أشكال من الانتهاكات يمارسها اليهود على الفلسطينيين

وبالعودة إلى الفريق الآخر من المستشرقين أي الذين يتعاطفون مع قضية يهود بني قريظة من دون أن يقدموا من الأسباب الموضوعية ما يدعم هذا التعاطف، فلدينا طائفة منهم سنعرض لبعض آرائهم، فمن هؤلاء:

إدوار جيبون E. Gibbon فهو عندما ناقش قضية بني قريظة تحاشى ذكر الأسباب التي دعت النبي صلى الله عليه وسلم إلى عقوبتهم، واكتفى بالقول إن محمدًا استأصل الجنس المعادي له من بني قريظة، وأنه قتل منهم سبع مئة رجل[٤٠].

وكذلك فإن ميور Muir يعترف أن يهود بني قريظة تحالفوا مع أعداء المسلمين في ساعة حرجة، وأن سلوك قادتهم بلغ حد الخيانة العظمى، إلا أنه يتحفظ على العقوبة حيث يرى أن قتل ثماني مئة رجل من دون تمييز وإخضاع جميع نساء القبيلة وأطفالها للاستعباد يُعدُّ في نظره وحشية رهيبة[٤١].

مهما كان الاختلاف في عدة من قتل من بني قريظة فإن ذلك لا يقارن بالمذابح التي ارتكبها الصليبيون في حق المسلمين، بالمسجد الأقصى سنة ٤٩٢هـ

وبغض النظر عن مدى دقة عدد القتلى الذين ذكرهم ميور، فإن استعباد نساء القبيلة وأطفالها إن جاز قبول مثل هذا الرقم الضخم نسبيًا، فهو ليس غريبًا على الممارسة البشرية في تلك الفترة من الزمن[٤٢].

ومن اللافت للنظر أن تعاطف جرونباوم von Grunebaum الشديد مع يهود بني قريظة دفعه إلى إنكار تهمة تآمرهم مع العدو، وقوله: إن ما حلّ بهم من عقوبة كان جزاء موقفهم الغامض في أثناء الحصار[٤٣]. وواضح أن موقف جرونباوم من هذه المسألة يتجافى مع أبسط قواعد البحث الموضوعي، وفي ما سبق ذكره عن موقف بني قريظة أيام الخندق ما يكفي عن الإعادة.

وشبيه بموقف جرونباوم ما نجده لدى فاكا Vacca فهي تشكك في وجود معاهدة بين النبي صلى الله عليه وسلم ويهود بني قريظة؛ لأن العلاقة بين الطرفين محددة في الدستور العام (أي صحيفة المدينة). لذلك فهي ترى أن مسألة المعاهدة مخترعة لتسويغ التصرف الذي اتخذ ضد اليهود. وأسفر عن قتل ما بين (٦٠٠ و٩٠٠ رجل)، وبيع النساء والأطفال في المزاد[٤٤].

وعلى كلٍ، إذا كانت فكرة المعاهدة مخترعة من قبل المسلمين لتسويغ معاقبة بني قريظة. فالتسويغ هنا أمام مَنْ؟ والخوف مِمَّنْ؟.

إن الذي نفذ ذلك الحكم الصارم في بني قريظة لم يكن بحاجة لتسويغه بادعاءات باطلة؛ لأنه لا يخاف من أحد سوى الله.

ولا يختلف رأي فرانتس بول F. Buhl كثيرًا عن رأي فاكا، إذ إنه جعل ما لحق ببني قريظة من عقوبة كان مبعثه الشك في ولائهم ليس غير. وهو يهمل هنا أمر السفارة التي بعثها رسول

الله صلى الله عليه وسلم للتأكد من صحة ما نسب إليهم من نقض للعهد. بل يذهب أبعد من ذلك عندما يزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي قرر عقوبتهم، بل ربما كان هو الذي أقنعهم بالاستسلام. فالمصادر تنسب الحكم إلى سعد لتبرئة الرسول صلى الله عليه وسلم من تبعة ذلك القرار[45]. ومما هو جدير بالذكر هنا هو أن كايتاني Caetani سبق بول في هذا الزعم[46].

والحقيقة أنه ليس هناك ما يدعو النبي صلى الله عليه وسلم إلى الاختباء وراء ظهر سعد في مثل هذه القضية، فهو سيد المدينة، وصاحب الكلمة العليا فيها. وهو الذي أعترف له الجميع مسلمين ويهوداً بالمرجعية الدينية والسياسة العليا.

ومما يدعو إلى الدهشة أن واشنجتون إرفنج W.Ivring مع اعترافه أن يهود بني قريظة قد نقضوا عهدهم للرسول صلى الله عليه وسلم، واتفقوا سرًا مع أعدائه، إلا أنه لم يتورع عن اتهام الرسول صلى الله عليه وسلم، بالقسوة على اليهود، وأن المذبحة التي شهدتها سوق المدينة نقطة سوداء في تاريخ محمد صلى الله عليه وسلم[47]. ثم يعود إرفنج ليناقض نفسه في حكمه على الرسول صلى الله عليه وسلم حين يسوّغ قسوة الحكم بخيانة اليهود وغدرهم[48].

فإذا كان الأمر كذلك فكيف يتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالقسوة على قوم هذه أخلاقهم وتصرفاتهم؟.

وأخيرًا فإن فلهاوزن Wellhausen ينكر وجود معاهدة

الهوامش

١- عبدالرحمن بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، الطبعة الرابعة، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ٣/٣٧١- ٣٧٢، محمد ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبعة الرابعة (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ٩/٢٥- ٢٧ .

٢- محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، المغازي النبوية، تحقيق سُهيل زكار، الطبعة الأولى، (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص٧١- ٧٥.

٣- محمد بن عمر الواقدي، المغازي، تحقيق مارسدن جونس، الطبعة الثالثة، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ٢/٤٥٦، ٤٥٨.

٤- المصدر السابق، ٢/٤٥١، ٤٦٢.

٥- الزهري، المغازي النبوية، ص٧٩؛ ابن هشام، عبدالملك بن هشام الحميري، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د: ت)، ٢/٢٣٤.

٦- الواقدي، المصدر السابق، ٢/٢٦١.

٧- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البُغا، الطبعة الرابعة (دمشق وبيروت: دار ابن كثير واليمامة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ٤/١٥١٠ (ح: ٣٨٩٣)، ومسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ٣/١٣٨٩ (ح: ١٧٦٩) وقارن الزهري، المغازي النبوية، ص٨١، محمد بن سعد البصري، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر، د: ت)، ٢/٧٤.

٨- انظر صحيح مسلم، ٣/١٣٩١ (ح: ١٧٧٠) وقارن ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/٢٤٤-٢٤٥.

٩- الواقدي، المغازي، ٢/٤٩٦، وأحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق عبدالله وعمر الطباع (بيروت: مؤسسة المعارف، ١٤٠٧هـ)، ص٣٢، وقارن ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/٢٩١.

١٠- ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/٢٤٩، والواقدي، المغازي، ٢/٥١١؛ وقارن موسى بن عُقبة، المغازي، جمع ودراسة وتحقيق محمد باقشيش أبو مالك (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، ١٩٩٤م)، ص٢٢٤.

١١- البخاري، صحيح البخاري، ٤/١٥١١ (ح: ٣٨٩٥)، ومسلم، صحيح مسلم، ٣/١٣٨٨- ١٣٨٩ (ح: ١٧٦٨).

١٢- البخاري، صحيح البخاري، ٤/١٥١١ (ح: ٣٨٩٥)، ومسلم، صحيح مسلم، ٣/١٣٨٩ (ح:١٧٦٩)، وأبوعبيد القاسم بن سلام، كتاب الأموال، تحقيق محمد عمارة، الطبعة الأولى (بيروت: دار الشروق، ١٤٠٩هـ)، ص٢١٦ (٣٤٧).

١٣- ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/٢٥١- ٢٥٢.

١٤- الواقدي، المغازي، ٢/٥١٣- ٥١٧.

١٥-انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/٢٥٢، والواقدي، المغازي، ٢/٥١٨.

١٦- محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، الطبعة الثانية (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت)، ٤/١٤٤- ١٤٥، (ح: ١٥٨٢).

١٧- ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/٦٣.

١٨- حميد بن زنجويه، كتاب الأموال، تحقيق شاكر ذيب فياض، الطبعة الأولى (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ١/٢٩٩ (٤٦١).

١٩- M. Kister. "The Massacre of the Banu Qurayza. Are-examination of the tradition" JSAI، ٨، (١٩٨٦)، ص.٦١-٩٨، ص٩٢. esp.

٢٠- سيد أمير علي، روح الإسلام، نقله إلى العربية عمر الديراوي، الطبعة الخامسة (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م)، ص٩٦.

٢١- Walid N. Arafat. "New Light on the Story of Banu Qurayza and the Jews of Medina" JRAS. (London، ١٩٧٦)، pp. II، ١٠٠-١٠٧.

٢٢- Barakat Ahmad. Muhammad and the Jews: Are-examination (New Delhi: ١٩٧٩)، ص.٩١.

بين النبي صلى الله عليه وسلم ويهود بني قريظة، وحجته أن المصادر اليهودية لم تذكر شيئًا عن ذلك، وأن المعاهدة التي قيل: إن حيي بن أخطب قد مزقها لم تكن سوى قبال نعله ليظهر بصورة رمزية – حسب رأيه – قطع علاقته مع أهل المدينة[٤٩].

ما من شك في أن موقف فلهاوزن يفتقر إلى الموضوعية. إذ إن مصادر السيرة النبوية أشارت كثيرًا إلى وجود معاهدة أو أكثر مع بني قريظة. أما القول: إن كعبًا لم يمزّق وثيقة المعاهدة بل رباط نعله فهو قول ينقضه ما جاء عند الواقدي، حينما أشار إلى الوفد الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة طالبًا منهم تجديد العهد، وألاَّ يطيعوا حيي بن أخطب، فقال كعب زعيم بني قريظة: «لا نريده أبدًا أي –العهد– قد قطعته كما قطعت هذا القبال، لقبال نعله»[٥٠].

وأخيرًا، فمهما اختلفت آراء المستشرقين، وتشعبت أهواؤهم في شأن عقوبة يهود بني قريظة، فإن الأمر الذي يجب ألا يغيب عن البال هو: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينظر إلى قضيتهم على أنها قضية أسرى وقعوا في يده، بل نظر إلى قضيتهم وعاملهم معاملة الخونة الذين نقضوا العهد، وتآمروا مع الأعداء في وقت الحرب على سلامة الدولة، وهددوا أمن المجتمع في ظل ظروف استثنائية بالغة الخطورة. وهذا هو ما يعرف بالخيانة العظمى في القانون الدولي، ومعلوم أن عقوبة هذه الخيانة هي الموت.

٢٣- قارن: Ahmad. B. Ibid., pp ٨٤- ٨٨.

٢٤- انظر الواقدي، المغازي، ٢/٥٢٣.

٢٥- المصدر نفسه، ٢/٥٢٢.

٢٦- المصدر نفسه، ٢/٥٢٣.

٢٧- المصدر نفسه، ٢/٥٢٤.

٢٨- المصدر نفسه، ٢/٥٢٢- ٥٢٣.

٢٩- A. Wensinck. Muhammad and the Jews of Medina. Translated and edited by Wolfgang Zed ed. (Berlin: ١٩٨٢)، ص.١٢٧.

٣٠- كارين آرمسترونج، سيرة النبي محمد، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني (مصر: كتاب سطور، ١٩٩٨م)، ص٣٠٨، وقارن Maxim Rodinson. Muhammad. Translated by Aun Carter (England: ١٩٩٦)، ص.٢١٤.

٣١- Tor Andrae. Muhammed: The man and his Faith. Translated by Thephil Menzel (London George Allen and Unwin)، ص.٢١٨.

٣٢- Rodinson, M. Muhammad، ص.٢١٠-٢١١.

٣٣- Rodinson. Ibid، ص.٢١٤.

٣٤- إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب (مصر: مطبعة الاعتماد، ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م)، ص١٤٧.

٣٥- ولفنسون، المرجع نفسه، ص١٤٩.

٣٦- انظر الواقدي، المغازي، ١/١٧٩، ٣٦٧.

٣٧- Gabrieli, Francesco. Muhammad and the Conquests of Islam. Tramslated from the Italian by Virgina Luling (New York. Toronto: ١٩٦٨)، ص.٧٢-٧٣.

٣٨- د. ف. بودلي، الرسول: حياة محمد، ترجمة محمد فرج، وعبدالحميد جودة السحار (مصر: د. ت)، ص ص١٩٣- ١٩٤، جاء في تثنية الاشتراع: «وإذا تقدمت إلى مدينة لتقاتلها، فادعها أولاً إلى السلم، فإذا أجابتك، وفتحت لك أبوابها، فكل القوم الذي فيها يكون لك تحت السخرة ويخدمك. وإن لم تسالمك، بل حاربتك فحاصرتها. وأسلمها الرب إلهك إلى يدك فاضرب كل ذكر بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وجميع ما في المدينة من غنيمة، فاغتنمها لنفسك، وكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك إياها». العهد القديم، الإصحاح العشرون، سفر تثنية الاشتراع.

٣٩- مونتجمري وات، محمد في المدينة، تعريب شعبان بركات (صيدا: المكتبة العصرية، د: ت)، ص٢٢٨.

٤٠- Gibbon, E and Simon Ockley. The Saracens: Their History and the Rise and Fall of their Empire. (London: ١٩٨٤)، ص.٣٥- ٣٦.

٤١- W. Muir. the Life of Muhammad (Edinburgh: ١٩٢٣)، ص.٣٢٢.

٤٢- انظر هامش ٣٨.

٤٣- von Grunebaum. G.E. Classical Islam. Ahistoy ٦٠٠- ١٢٥٦ Translated by K Watson (Chicago: ١٩٧٠)، ص.٤٠.

٤٤- انظر "SEI. art "Kuraiza ص.٢٧٢- ٢٧٣

٤٥- انظر "SEI. art "Muhammad ص.٢٨٩- ٤٠٥، esp. ص.٤٠٠- ٤٠١

٤٦- انظر وجهة نظر كايتاني فيما يتعلق بحكم سعد بن معاذ على بني قريظة، عند M. Watt في: "The Condemantion of the Jews of Banu Qurayzah" MW. Vol XIII. July ١٩٥٢، No. ٣، ص.١٦٠-١٧٠

٤٧- واشنجتون إرفنج، حياة محمد، ترجمة علي حسني الخربوطلي، الطبعة الثانية (مصر: دار المعارف، د: ت)، ص ص١٨٩، ١٩٥.

٤٨- إرفنج، المرجع السابق، ص١٩٥.

٤٩- انظر A. Wensinck. Muhammad and the Jews، ص.١٢٧.

٥٠- انظر الواقدي، المصدر السابق، ٢/٤٥٨.

قصة

موت موظف

أنطون تشيخوف
ترجمة: هاشم سليمان حمادي
دمشق - سورية

في إحدى الأمسيات الرائعة، كان إيفان دميتريتش تشيرفياكوف الإكزيكوتر (١) الذي لا يقل روعة، جالساً في الصف الثاني من المقاعد، يشاهد «أجراس كورينفيل» من خلال المنظار. وفجأة.. غالباً ما تصادفه هذه «الفجأة» في القصص. والكتّاب على حق: فالحياة حافلة بالمفاجآت. وفجأة تجعد وجهه، وجحظت عيناه، وتوقف تنفسه.. ثم أبعد المنظار من عينيه، وانحنى قليلاً. ثم.. عطس لقد عطس كما ترون. والعطس، ليس محظوراً على أحد في أي مكان. حيث يعطس الفلاحون ورؤساء الشرطة. حتى المستشارون السريون يعطسون، أحياناً. الجميع يعطسون، لم يرتبك تشيرفياكوف أبداً. وبعد أن مسح أنفه بالمناديل راح يتلفت حوله، كأي إنسان مهذب: هل أزعج أحداً بعطسته؟ وهنا شعر بالارتباك، فقد رأى أن العجوز، الجالس قدامه، في الصف الأول، من المقاعد، وهو يمسح صلعته ورقبته بقفازة، ويتمتم بشيء ما. ولقد تعرف تشيرفياكوف في العجوز إلى الجنرال بريز جالوف، الذي يعمل في وزارة المواصلات.

لقد طرطشته - قال تشيرفياكوف في نفسه - صحيح أنه رئيس غريب، وليس رئيسي، ومع هذا فإنه لموقف حرج. ينبغي أن اعتذر منه.

سعل تشير فياكوف، وانحنى بكامل جذعه نحو الأمام، ثم همس في أذن الجنرال:

- سامحني يا صاحب المعالي. لقد طرطشتك.. إنني لم أقصد..

- بسيطة، بسيطة..

- بالله عليك سامحني. فأنا إنني لم أقصد.

- اجلس من فضلك، ودعني أصغي.

ارتبك تشيرفياكوف، وابتسم بغباء، ثم راح ينظر إلى خشبة المسرح. كان ينظر، لكنه لم يعد يشعر بتلك المتعة، فقد أصبح نهباً للقلق. وفي فترة الاستراحة دنا من بريز جالوف، ومر بجواره، وبعد أن تغلب على وجله، قال متمتماً:

- لقد طرطشتك يا صاحب المعالي.. سامحني .. سامحني فأنا لم يكن هذا قصدي..

- آخ. يكفي لقد نسيت، أما أنت فلا تكف تتحدث عن الأمر نفسه

- قال الجنرال، ثم حرك شفته السفلى، وقد فرغ صبره.

«يقول إنه نسي، لكن الغضب في عينيه - فكر تشيرفياكوف. وهو ينظر إلى الجنرال بارتياب.

- حتى إنه لا يريد الكلام. لابد أن أوضح له أنني لم أكن أرغب في ذلك أبداً.. وأن هذا قانون الطبيعة، وإلا فقد يظن أنني أردت أن أبصق. وإن لم يفكر الآن فسيفكر فيما بعد..»

لدى وصوله البيت أخبر تشيرفياكوف زوجته بالحماقة، التي اقترف. لكن زوجته، وكما بدا له، لم تول ما حدث اهتماماً كبيراً، صحيح أنها خافت في البداية، لكنها ما إن عرفت أن بريز جالوف «غريب حتى اطمأنت، وقالت:

- ومع هذا اذهب إليه، واعتذر، وإلا فقد يحسبك جاهلاً بالآداب.

- هذا ما فعلته بالضبط، لقد اعتذرت. أما هو فشيء غريب.. لم ينطق بكلمة شافية واحدة. ثم إنه لم يكن هناك وقت للحديث.

في اليوم التالي ارتدى تشيرفياكوف حلته الجديدة، وقص شعره، ثم ذهب إلى بريزجالوف يروم الاعتذار.. ولدى دخوله مكتب الاستقبال، لدى الجنرال، رأى هناك كثيراً من الزوار.

كما رأى الجنرال بينهم، وكان قد بدأ يتلقى الالتماسات، وبعد أن أصغى إلى عدد من المراجعين، رفع الجنرال عينيه إلى

تشيرفياكوف أيضاً.

- البارحة في «أركاديا»... إذا كنتم تذكرون، يا صاحب المعالي - بدأ الإكزيكوتر كلامه - عطست وعن غير قصد طرطشت.. سامح..

- يا له من كلام فارغ.. شيء سخيف. وأنت ما حاجتك؟ - قال الجنرال مخاطباً المراجع التالي.

شحب وجه تشيرفياكوف، وفكر بينه وبين نفسه: «لا يريد الكلام.. هذا يعني أنه غاضب.. كلا، لا يجوز ترك الأمر على هذا النحو.. ينبغي أن أشرح..»

حين أنهى الجنرال الحديث مع الزائر الأخير، واتجه إلى الجناح الداخلي، خطا تشيرفياكوف من خلفه، وتمتم قائلاً:

- يا صاحب المعالي إذا كنت أجرؤ على إزعاج معاليك، فما ذلك إلا من باب الشعور بالندامة.. لكي تعرفوا أنني لم أفعل ذلك عمداً.

لوح الجنرال بيده، وقد بدا وجهه كمن يهم بالبكاء:

- إنك تسخر مني، ولا شك أيها السيد - قال ذلك، وهو يختفي خلف الباب.

وفكر تشيرفياكوف:

- عن أي سخرية يتحدث؟ لا توجد أي سخريات هنا أبداً. جنرال ولا يستطيع أن يفهم، ما دام الأمر كذلك فلن أعود إلى الاعتذار من هذا المتعجرف. تباً له. سأكتب له رسالة، ولن أعود إلى مقابلته، قسماً بالله، لن أعود..

هذا ما فكر به تشيرفياكوف، وهو في طريقه إلى البيت، لكنه لم يكتب رسالة إلى الجنرال فقد فكر وفكر طويلاً، لكنه لم يعرف ماذا يكتب؛ واضطر في اليوم التالي إلى أن يذهب لمقابلته؛ ليوضح له الأمر بنفسه.

- البارحة جئت فأزعجت معاليكم - تمتم تشيرفياكوف، حين نظر إليه الجنرال بعينيه المتسائلتين - ليس بقصد السخرية، كما تفضلتم بالقول، بل جئت أعتذر عن طرطشتي لكم، حين عطست.. ولم يكن يخطر ببالي أن أسخر.. وهل أتجاسر على السخرية؟ فإذا ما رحنا نسخر فلن يكون هناك، يعني أي احترام للشخصيات..

- انقلع من هنا!! زعق الجنرال، الذي ازرق، وراح يرتجف فجأة.

- ماذا؟ - سأل تشيرفياكوف بهمس، وهو يذوب من شدة الرعب.

- انقلع من هنا - كرر الجنرال، وهو يخبط بقدميه.

شيء ما تمزق في بطن تشيرفياكوف، وتراجع نحو الباب، وهو لا يرى شيئاً، ولا يسمع شيئاً، وخرج إلى الشارع، ثم سار على غير هدى.. وحين وصل إلى البيت، بشكل آلي، استلقى على الأريكة، من دون أن يخلع حلته الرسمية، و.. مات.

عام ١٨٣٨م.



الهوامش

١- في روسيا القيصرية: الموظف المسؤول عن حفظ النظام في الديوان.

الملف

الأجهزة الإلكترونية اليدوية

بديلة من أدمغة البشر

عدنان عضيمة

الشارقة - الإمارات

العدد ٣٨١ / ربيع الأول ١٤٢٩هـ

قبل بضع سنوات فحسب، كانت المؤسسات ومراكز البحوث المعنية بمتابعة تطور استخدام الإنترنت تصدر نشرات دورية حول أعداد الصفحات، التي تضاف إلى (المرآة السحرية) شهرياً، وكانت الأرقام والخطوط البيانية التي تصدر عن هذه المراكز من النوع الذي يمكن أن يصيب الإنسان بالدوار. ففي بداية الأمر، كان عدد الصفحات التي تضاف إلى الشبكة العالمية كل يوم يقاس بالألوف، ثم أصبح يقاس بعشرات الألوف ومئاتها، إلى أن أصبح يقاس بالملايين والمليارات. وما لبث الخبراء الذين كانوا يتابعون العمل بهذه الإحصائيات أن عرفوا أن هذا العمل بات مستحيلاً بعد أن أصبحت الشبكة تستقبل كل يوم من التدفق المعرفي ما يساوي مجموع محتويات الكتب التي يتم طبعها في العالم أجمع كل عام.

وعلى التوازي مع هذا الزخم التطوري السريع لمحتويات الإنترنت، كانت الثورة الرقمية تشقّ طريقاً آخر، عندما بدأ الخبراء بابتداع الإنترنت اللاسلكية التي أدت أول مرّة إلى تحويل المكتب ومكان العمل إلى مجرّد رمز لطريقة الحياة في الدهور السالفة، وجعلت أداء العمل نشاطاً لا يرتبط بموقع أو مكان.

وسرعان ما تمكنت الإنترنت اللاسلكية من اختراق الموبايل ذاته، لتحوله إلى جهاز يجمع بين وظائف الكمبيوتر الشخصي والهاتف والتلفاز، وأصبح يضمّ أنظمة الملاحة والتوجه، فضلاً عن بضع مئات من التطبيقات والوظائف الأخرى.

وكل هذه التطورات المتلاحقة، ليست إلا النُّذر الأولى

للثورة التكنولوجية الرابعة، بعد ثورة ابتكار الكتابة، ثم اختراع آلات الطباعة، وبعدها اختراع الكمبيوتر الشخصي.

وربما كان الغريب في أمر هذه الثورة الجديدة هو التناقص السريع في الطول الزمني للدورات الابتكارية. ولا يكاد يظهر جهاز ذكي في الأسواق، ويحدث ضجيجه فيها، حتى يظهر جهاز أو ابتكار آخر ليقذف به إلى رفوف المتاحف. ويقول المحلل الخبير في ثورة المعلومات دون ريبيرت: (لعلّ من الغريب أننا نرى الآن الأجيال الجديدة من الشبّاب وهي تنظر إلى البريد الإلكتروني وكأنه من اختراع أجيال قديمة من البشر).

ويمكن تفسير هذا الشعور بأن هؤلاء الشباب لم يعيشوا تلك الأيام التي طواها الزمن، إذ كان يفترض في كل من يريد إرسال رسالة أن يخطها بيده، ثم يودعها مظروفاً يكتب عليه عنوانه وعنوان المرسل إليه، ليبحث بعد ذلك عن بائع لطوابع البريد، ثم يلصق الطابع المناسب ويهرع إلى أقرب صندوق بريد ليضع رسالته فيه، ثم ينتظر عشرة أيام أو أكثر حتى تصل الرسالة إلى صاحبها. وفيما يكون في وسعنا نحن الكبار أن ندرك الآن أهمية البريد الإلكتروني، الذي اختصر لنا كل هذه المراحل ببضع نقرات على لوحة المفاتيح، إلا أن أبناءنا لا يمكنهم أن يستشعروا ذلك أبداً.

إيقاع التطور

وتسجل تكنولوجيات نقل الإنترنت من سطح مكتب الكمبيوتر إلى شاشات الهواتف النقالة تطوراً كبيراً ومتلاحقاً. فلقد توصلت شركة (جوجل) مؤخراً لبناء برنامج تطبيقي (سوفت وير) يسمح بالإبحار في مواقع الإنترنت ودهاليز على شاشة (الموبايل) بسهولة ونعومة تشغيلها على شاشة الكمبيوتر الشخصي. وأشار خبراء إلى أن من شأن هذا التطور الكبير أن يقلب موازين القوى في أسواق الإنترنت اللاسلكية رأساً على عقب.

وأطلقت (جوجل) على البرنامج التطبيقي الجديد اسم (أندرويد) Android، الذي يعني بالعربية (الروبوت البشري)، وهو مبني على أساس برنامج التشغيل الشهير (لاينوكس) Linux الخاص بالأجهزة اليدوية.

وربما تكمن أهم خصائص (نظام أندرويد) الجديد في أنه يفتح أمام الخبراء المتخصصين في تطوير خدمات الموبايل



موبايل لتشغيل مواقع الشبكات الاجتماعية

فرصاً لا حدود لها: لابتداع المنتجات الجديدة. ومن بين التطبيقات الشهيرة لـ (نظام أندرويد): فتح الملفات الجديدة، وتشغيل نظام تحديد الموقع GPS عن طريق الأقمار الاصطناعية، والاستفادة مما يعرف ببروتوكول تناقل الرسائل الصوتية عبر الإنترنت. وسوف يظهر النظام الجديد في الأسواق خلال النصف الثاني من هذا العام ٢٠٠٨م.

وتشير أحدث الإحصائيات إلى أن أكثر أنظمة تشغيل (الموبايل الذكي) مبيعاً هو نظام (سيمبيان) Symbian، الذي احتكر ٧٢,٤ بالمئة من حجم السوق خلال الأشهر الستة الأولى من العام الماضي ٢٠٠٧م، واحتلّ نظام (لاينوكس) المرتبة الثانية، بحجم مشاركة بلغ ١٣,٣ بالمئة، يليه نظام (مايكروسوفت) بحجم مشاركة بلغ ٦,١ بالمئة عن المدة ذاتها.

ويرى خبراء من مجموعة (جارتنير جروب) أنه بحلول عام ٢٠١١م سوف يتم التراسل الفوري في قطاعات العمل والتجارة

لو أنت نسيت اللاب توب في المقعد الخلفي لسيارتك عندما تتركها في مكان عام، فستكون قد عرضت نفسك لأخطار عظيمة





موبايل بالصوت والصورة

بمزيج من الصوت والصورة والنص المكتوب، عن طريق الهاتف الخليوي، أو كمبيوتر سطح المكتب، أو الأجهزة الأخرى التي تظهر بين الحين والآخر. وفي ذلك الوقت ستعيش الأجيال الجديدة من الشباب في عالم افتراضي ثانٍ يصعب علينا اليوم الكشف عن تفاصيله. وقد يخلص المرء من كل ذلك إلى أن هذه الدورة التطورية المفتوحة لثورة المعلومات ذات إيقاع متسارع يجعل من العسير التنبؤ بما سيحدث بعد سنوات قلائل، أو أشهر معدودة.

جوجل.. مغامرة ناجحة ومكاسب تطورية هائلة

ووفقاً لهذه التطورات المتسارعة، بات الاستثمار في تكنولوجيا المعلومات ينطوي على أعلى العوائد والفوائد المادية. وتتحدث الإحصائيات عن العشرات، إن لم يكن المئات من أصحاب المليارات الذين حصدوا قناطير الذهب والفضة، من خلال تطوير خدمات رقمية جديدة؛ ويُصنف بيل جيتس صاحب شركة

لم يعد (جوجل) مجرد محرك بحث، بل أصبح أيضاً بمنزلة الآلة التي تطبع الأموال بغزارة لا نظير لها لمستثمريه

مايكروسوفت ضمن الأوائل في هذا الميدان إلا أنه - من دون شك - ليس من الأواخر.

وتنطوي قصة تأسيس شركة (جوجل) على كثير من الإثارة بالنسبة إلى كل من يختار طرائق ابتداع الحلول الرقمية لمشكلات العمل ميداناً لتحقيق طموحاته. وهي تحكي قصة الشابين المتواضعين سيرجي برين، ولاري بيج، الذين كتب لهما بين عشية وضحاها أن يصبحا من أصحاب المليارات من مجرّد استثمار فكرة تأسيس محرك البحث الأكثر فعالية في العالم، الذي يدعى (جوجل). واليوم أصبح هذا المحرك يستضيف أكثر من ٦٤ مليون متصفّح ومبحر كل يوم من العالم أجمع؛ وهو ناطق بأكثر من ١٠٠ لغة عالمية، ووصف بأنه (محرك البحث الذي يعرف كل شيء عن أي شيء)!!.

ويضم محرك (جوجل) مليارات البحوث والمواد الإعلامية، وهيأ للمبحرين أكثر الأدوات التقنية المتخصصة في البحث عن المواد والصور والبيانات تطوراً. ويبلغ عمر كل من برين وبيج ٣٢ عاماً؛ وهما اللذان أطلقا العمل بمشروع جوجل عندما كانا في العاشرة؛ ونجحا في تحويله من مجرد نظام مشغّل للإنترنت



نظام تحديد الموقع على جهاز (آي فون)

إلى شركة ضخمة تبلغ قيمة أصولها بضع عشرات المليارات من الدولارات.

وكتب لشركة (جوجل) أن تثير من الاهتمام ما دفع الكاتب الأميركي دافيد فايس لتأليف كتاب مثير يقع في ٥٠٠ صفحة تحت عنوان (قصة جوجل)، استهلّه بحديث مفصّل عن القيمة الحقيقية التي يتمتع بها محرك البحث (جوجل). فيشير بهذا الصدد إلى أنه يشبه من حيث قوة تأثيره في المجتمع العالمي تأثير اختراع المطبعة في القرن السادس عشر. وقبل أن يتمكن الألماني جوتنبرج من ابتكار أول مطبعة عام ١٤٥٦م، لم يكن من الممكن نشر الكتب وأخبار البحوث والابتكارات العلمية إلا على نطاق ضيّق جداً لا يتعدى بضعة قرّاء؛ إلا أن اختراعه سمح بعد ذلك بطبع عشرات الألوف من نسخ الكتاب الواحد، وحقق قدرة غير مسبوقة في مجال التواصل الفكري العالمي، عن طريق الورق المطبوع. ويمكن القول على نحو مشابه، أنه وبالرغم من التدفق الغزير للمعلومات بعد ابتكار الإنترنت، لم تكن الاستفادة من معلومة معينة أمراً متيسراً إلا لفئة محدودة من الناس؛ ثم أتى محرك البحث (جوجل) ليجعل المعلومات والبيانات والصور مشاعاً لكل الناس على وجه الأرض. وبهذا يكون جوجل قد فتح أفقاً جديداً للتلاقح والتواصل الفكري، لا يمكن لأحد على الإطلاق أن يقدّر أبعاده ونتائجه على المستويات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

وعندما يتحقق عنصر النجاح الساحق في أي عمل، فلا بد أن يفتح ذلك الباب أمام مصطلحات جديدة؛ وبعد أن حقق جوجل



هذا النجاح أصبحت عملية البحث عن المعلومات في الإنترنت تعرف باسم (الجوجلة) googling. وبات الناس يتساءلون الآن بشيء من الاستغراب: كيف كانت تسير الحياة قبل (جوجل)؟.

ويسترسل فايس في إطلاق التعابير الطنانة حول (جوجل) فيشير إلى أن معظم الباحثين والمتصفحين العاديين للإنترنت، باتوا يرون (جوجل) امتداداً طبيعياً لأدمغتهم. وكل من استخدم المحرك بشكل مكثف ومتواصل لا بد أن يكون قد اقتنع بأن هذا الوصف لا ينطوي على المبالغة. وأما على المستوى التجاري، فقد أصبح (جوجل) وسيلة الشركات الناشئة للتعريف بنفسها عن طريق الإعلان على صفحاته، التي تعد بالمليارات.

وما من شك في أن الأغلبية العظمى من مستخدمي جوجل لا يعرفون شيئاً عن قصة تأسيسه وإطلاقه، وكيف حقق كل هذا النجاح؟ وكيف تمكن من تخطّي جميع منافسيه؟. وهي بعض القضايا المحورية التي يعالجها كتاب فايس، بعد أن ظلت خلال السنوات القليلة الماضية تندرج في إطار الأسرار الغامضة الخبيئة خلف أسوار المقر الرئيس للشركة في وادي السيليكون بولاية كاليفورنيا الأميركية.

وينقل فايس عن جون هينيسي - عميد جامعة ستانفورد العريقة، وكبير علماء الكمبيوتر فيها - قوله: «إن شركة جوجل تتفرّد اليوم بأنها الأولى في العالم في تأليف كل من «السوفت وير والهاردوير واستخدامهما». وحتى تتمكن من تطوير مجالات خدماتها ذات الطابع البحثي وتوسيعها، تشغّل جوجل برامج تطبيقية بالغة التطور، تضم مئات الألوف من الأجهزة والآلات، كما تقوم حتى الآن ومن دون انقطاع بتحديث آلاتها وأدواتها وتجديدها. ولأنه ما من وصف في عالم تقنية المعلومات يمكنه أن يعبر عن مدى تطور هذه البرامج التطبيقية المستخدمة في تشغيل جوجل وتشابكها، فقد آثر الخبراء اشتقاق مصطلح جديد بشأنها هو (الجوجلوير) Googlware المستعار من الاسم الإنجليزي للبرامج التطبيقية أو (السوفت وير).

ويقول فايس أيضاً في كتابه: «إن شركة جوجل تمكنت من وضع خدمة البحث الآلي والسريع عن أية معلومات أو صور بلمح البصر. ولهذه الأسباب، لم يعد (جوجل) مجرد محرك بحث. بل أصبح أيضاً بمنزلة الآلة التي تطبع الأموال بغزارة لا نظير لها لمستثمريه».

وأحدث ما طلعت به شركة (جوجل) من ابتكارات، هو المشروع الضخم لبناء برنامج تطبيقي (سوفت وير) يسمح بالإبحار في مواقع الإنترنت ودهاليزه على شاشة (الموبايل) بسهولة تشغيلها ونعومته نفسها على شاشة الكمبيوتر الشخصي. وأعلنت مصادر الشركة عن أن من شأن هذا التطور الكبير أن يقلب موازين القوى في أسواق الإنترنت اللاسلكية رأساً على عقب.

وبمجرد الإعلان عن هذا المشروع الرائد، ارتفع سعر سهم (جوجل) في أسواق الأسهم التكنولوجية بمعدل ٢ بالمئة بعد أن كان قد شهد منذ بداية العام الجاري سلسلة من القفزات المتلاحقة حتى تجاوز سعر السهم ٨٥٠ دولاراً فيما توقع خبراء أن يتمكن من تحطيم حاجز الـ ١٠٠٠ دولار قبل نهاية العام الجاري.

وقالت صحيفة نيويورك تايمز في تقرير كتبه ميجيل هيلفيت وجون ماركوف عقب إعلان (جوجل) عن ابتكارها الجديد في شهر نوفمبر ٢٠٠٧م، أن ما حققته شركة (آبل) من نجاح ساحق عندما أطلقت جهازها المحمول متعدد المواهب والاختصاصات، الذي أطلقت عليه اسم (آي فون)، ستحقق (جوجل) أكثر منه عندما ستعمد إلى طرح نظامها الجديد، الذي سيخترق صميم التطبيقات العملية المفيدة لجهاز الموبايل. ويقول الكاتبان: إن الكمبيوتر الشخصي يجد الآن الفرصة المناسبة لمغادرة سطوح الطاولات ليجد مكانه المناسب في جيوب ملايين الناس. كما يمكن أن يوصف نظام (جوجل) الجديد (أندرويد) بأنه الحدث الثوري الكبير في مجال اندماج قطاعي (الحوسبة الرقمية) و(الاتصالات)؛ ولا شك أنه سيؤدي إلى تغيير كثير من المعطيات في صناعة الاتصالات برمتها، مثلما فعل الكمبيوتر الشخصي ذاته في أعوام الثمانينيات عندما غيّر أسس العمل وقواعده في المكاتب والإدارات العامة.

لا يكاد يظهر جهاز ذكي في الأسواق، ويحدث ضجيجه فيها، حتى يظهر جهاز أو ابتكار آخر ليقذف به إلى رفوف المتاحف

العولمة الرقمية.. الحاجة الملحّة

كثيراً ما يحدث نوع من التقاطع بين المستقبل والواقع في عالم تكنولوجيا المعلومات. ومن أمثلة ذلك أن تيرو أوجامبيرا - مدير قسم التكنولوجيا في شركة نوكيا الفنلندية لصناعة الموبايل - طلب ذات مرة فنجاناً من القهوة في أحد فروع شركة ماكدونالد للوجبات الخفيفة، وقال لصاحب المطعم: «أريد أن أدفع ثمن القهوة بواسطة جهاز الموبايل». وكان يتوقع أن يكون هذا المطعم مجهزاً بقارئة للبطاقات المغناطيسية للموبايل بحيث يمكنها حسم ثمن القهوة من الرصيد البنكي لصاحب الجهاز؛ إلا أن الموظفة التي تجلس على صندوق الحساب في المطعم اعتذرت عن قبول الدفع بهذه الطريقة، وقالت: «نحن لا نقبل الموبايل كوسيلة لدفع الفواتير».

وربما يعبر هذا المثال بشكل واضح عن ضرورة عولمة الخدمات الإلكترونية حتى تتحقق الفائدة القصوى منها لمصلحة المستخدمين والمشغّلين على حد سواء.

ومع من أن خدمة الدفع ببطاقة الموبايل ليست جديدة، وخصوصاً بالنسبة إلى اليابانيين الذين يستخدمونها في دفع أثمان تذاكر القطار والمترو وأجور التاكسي والمطاعم، إلا أنهم يطورونها الآن بشكل سريع حتى يضمنوا نشر استخدامها على أوسع نطاق. ويقول أحد اليابانيين، الذين دأبوا على اعتماد هذه الخدمة في تعاملاتهم اليومية: «لم أضطر إلى استخدام محفظتي المالية التقليدية طوال هذا اليوم، بعد أن أصبح استخدام الموبايل بديلاً للبطاقات الائتمانية، بمثل هذه الدقة والسهولة».

ومن المنتظر أن تتسع رقعة استخدام البطاقات الائتمانية المحمولة على الموبايل حتى تؤدي المزيد من الخدمات الجديدة. ومنها - مثلاً - استخدامه في تسجيل أوقات دخول الموظفين وخروجهم في المؤسسات والشركات والدوائر الحكومية والخاصة. ومما يشجّع على نشر هذه التطبيقات أن الطاقة التخزينية لبطاقات الموبايل ازدادت مؤخراً إلى الدرجة التي تسمح بتوسيع استخدامه إلى كثير من مثل هذه المجالات والخدمات المفتوحة.

ومما لا شك أن مثل هذا التقاطع التكنولوجي، أو العجز عن نشر مثل هذه الوظائف والخدمات الإلكترونية على المستوى العالمي،



أشكال من الكاميرات الرقمية





لن يستمر طويلاً؛ إذ تشير التقارير إلى أن الموبايل سيستأثر قريباً بدور المحفظة الإلكترونية الجاهزة لاستبدال البطاقات الائتمانية؛ لدفع الفواتير في كل مكان. ولا شك أن المحافظ الإلكترونية سوف تثوّر الطرائق والأساليب التي ندفع بها الفواتير. وأثمان الأشياء، والخدمات التي نشتريها في المستقبل القريب. وأصبحت النماذج الأولى من الموبايل الصالح لدفع الفواتير بمجرد التلويح أمام القارئة المغناطيسية قيد التطوير الفعلي.

وعندما يتعلق الأمر بالتنبؤ بمستقبل الأجهزة الإلكترونية، فإن نظرة الخبراء إلى الأمر تختلف بحسب طبيعة خبراتهم. ومن ذلك - مثلاً - أن خبراء شركة نوكيا توقعوا ظهور نوع من (الموبايل) المصنوع من مواد عالية المرونة كالمطاط الطبيعي تجعله قابلاً للطي والعجن والتشكيل والتطويل والتقصير ليشبه بذلك (معجونة التشكيل)، أو (الماستيك)، التي يستخدمها الأطفال في المدارس.

أخطار وعواقب

وعند حدوث مثل هذه التطورات الهائلة، لا بد أن يكون هناك خاسرون أيضاً. ويبدو أن الصحف والمجلات المطبوعة التي تعتمد على الإعلان هي أكبر الخاسرين بعد أن اتجه المعلنون والمنتجون إلى إبراز منتجاتهم على صفحات (المرآة السحرية) أو (الإنترنت) حتى تستقطب العدد الأكبر من المشاهدين. وبدأت الأخبار المتعلقة بإفلاس مطبوعات رائدة عالمياً بالتسرّب إلى وسائل الإعلام، ومنها - مثلاً - مجلة (بيزنس ٢,٠) الأسبوعية الاقتصادية التي توقفت عن الصدور تماماً عقب طرح عدد شهر سبتمبر الماضي، بعد أن وجدت نفسها في مواجهة كابوس ثقيل تجلى في انخفاض الصفحات الإعلانية فيها بمعدل ٢١,٤ بالمئة خلال شهر يونيو الماضي، بالمقارنة مع الشهر ذاته من العام الماضي.

وكانت مجلة (فوربس) نشرت في أحد أعدادها، التي صدرت في شهر يونيو الماضي تقريراً تحليلياً أشارت فيه إلى أن عدداً من المجلات المتخصصة الأخرى تعاني مشكلات مشابهة بما فيها مجلة (بي سي ماجازين) PC Magazine، التي تعد من أوّل المجلات المتخصصة بعلوم الكومبيوتر، إلا أنها عانت خلال شهر مارس الماضي من انخفاض صفحاتها الإعلانية بمعدل ٣٣,٥ بالمئة، عن الشهر نفسه من العام الماضي؛ وهذا ما

توصلت شركة (جوجل) مؤخراً إلى بناء برنامج تطبيقي (سوفت وير) يسمح بالإبحار في مواقع الإنترنت ودهاليزه على شاشة (الموبايل)

دفع رئيس تحريرها إلى الاستقالة.

ويقول التقرير: إن السبب المباشر المهم لهذا الواقع المؤلم، الذي آلت إليه أحوال المجلات المطبوعة يكمن في أن (الدولارات الإعلانية) أصبحت تصبّ في خزائن الشركات الكبرى المتخصصة بالإعلان على الإنترنت، وعلى رأسها شركة (جوجل). ويمكن أن تفسر هذه الظاهرة أيضاً سبب الارتفاع المتواصل في أسعار أسهم الشركات التكنولوجية التي تستأثر بالمزيد من مساحة السوق الإعلانية.

وتمتلك (جوجل) الآن كثيراً من المواقع المتخصصة في إنجاز خدمات معينة منها - مثلاً - موقع google-AdSence، الذي يجذب كثيراً من المبحرين، وقد كتبت على واجهته الجملة المعبرة الآتية: (إن هذا الموقع يمكنه أن يضيف المادة الإعلانية إلى محتوى موقعك على الإنترنت، بحيث تكسب المزيد من المال كلما نقر أحد على إعلانك).

ويمكن تفسير ظاهرة انتقال الشركات والمؤسسات الإنتاجية أو الخدمية عن الإعلان على صفحات المجلات المتخصصة، إلى الإعلان على الإنترنت في أن الإعلان الإلكتروني يمكنه أن يصل إلى شريحة أكبر من الناس. كما أنه أكثر بساطة، وتكلفة تصميمه أقل بكثير، وهو يضمن الدخول بالمنتج، الذي يتم الإعلان عنه إلى الأسواق بشكل فوري، وبطريقة جذابة. ويضاف إلى ذلك أن الإعلان على الإنترنت يخاطب مختلف الشرائح الاجتماعية، بينما يقتصر الاهتمام بالمجلات المتخصصة بفئة محدودة من الناس. وأصبح في وسع المعلنين الآن التحقق من عدد مرات الدخول إلى صفحاتهم الإعلانية بطريقة إلكترونية، بينما لا يكون تحديد العدد الدقيق لقراء صفحة إعلانية من مجلة متخصصة أمراً ممكناً على الإطلاق.

وليس الغياب التام لمجلة (بيزنس ٢,٠) عن الساحة الإعلامية الاقتصادية إلا مؤشراً مهماً على التغيّر الكبير الذي



تشهده الصناعة الإعلانية، ولا بدّ أن يكون هذا الحدث متبوعاً بإعلان مجلات أخرى التخلي عن الحرب الخاسرة مع محركات البحث والمواقع الإعلانية، التي أصبحت تقودها شركات استمدت قوتها من قوة الإنترنت وقدرتها العجيبة على الانتشار.

وبينما يبدو بعض الخبراء غارقين في تصور الأشكال والأوصاف والخصائص المدهشة، التي ستصبح عليها أجهزة المستقبل الرقمية، فإن بعضهم الآخر يفضل النظر إلى الجانب السلبي في الموضوع، عندما يتنبؤون بانتهاء عصر الحريات الشخصية بسبب التطور السريع، الذي تشهده صناعة كاميرات الفيديو، وخاصة من حيث زيادة إمكاناتها، وتصغير حجومها إلى الحدود، التي تجعلها خافية تماماً عن الأعين؛ وسوف يكون في وسعها اختراق أصغر الأمكنة، وأكثرها خصوصية لتقوم بالتقاط الصور والأفلام لأي إنسان من طرف خفي. ولا شك - أيضاً - أن تقنيات التنصّت على المواد والمعلومات، التي يتم تبادلها عبر البريد الإلكتروني سوف تتطور بدورها إلى الحدود التي ستجعل من مسألة الحفاظ على سرية المعلومات مشكلة مستعصية بالنسبة إلى الأفراد والمؤسسات العامة والخاصة على حد سواء.

وهناك كثير وكثير مما يقال بشأن الخوف على خصوصية المعلومات والبيانات السرية، بعد ابتكار هذه الباقة المتنوعة من الأجهزة اليدوية المحمولة، مثل: الموبايل متعدد الوظائف، وجهاز (إم بي٣)، و(آي بود)، و(آي فون)، و(اللاب توب)؛ التي تم تصميمها جميعاً من دون أخذ مشكلة أمن المعلومات في الحسبان. وفيما مضى كان نشاط لصوص المعلومات يقتصر على سرقة البيانات والصور الثابتة. ولكنهم الآن قادرون على سرقة الأصوات وأشرطة الفيديو التي أصبحت شائعة الاستخدام والتناقل في هذه الأجهزة.

ويضرب كريسبين أوبريان – الرئيس والمدير العام لمجموعة KPMG الاستشارية – أحد الأمثلة عن هذه الأخطار حين قال في حوار أجراه معه آلن كين في ردّه على سؤال حول هل هناك أي مستقبل ينتظر الهاتف الثابت، وكومبيوتر سطح المكتب؟ فأجاب: (هناك كثير جداً من الأخطار الكامنة في استخدام هذه الأجهزة. ولو أنت نسيت اللاب توب في المقعد الخلفي لسيارتك عندما تتركها في مكان عام، فستكون قد عرضت نفسك لأخطار عظيمة. ولا شك أن تقنيات تشغيل الموبايل والأجهزة الحساسة الأخرى مثل بلاك بيري تتطلب كثيراً من العمل الابتكاري الذي يضمن في النهاية تحقيق أمن المعلومات وسلامتها، التي يتم تناقلها عبرها). وأشار التقرير إلى أن القرار الذي اتخذته المصالح الأمنية الفرنسية مؤخراً بمنع استخدام جهاز (بلاك بيري) في قصر الإليزيه، ومكاتب رئاسة مجلس الوزراء يعد أكبر دليل على خطورة الموقف. وتمكن رجال الاستخبارات الفرنسية في بداية عام ٢٠٠٧م من التعرف إلى أوجه الخطر الكامنة في جهاز (بلاك بيري)، الذي لا يزيد وزنه على ١٥٠ جراماً، ويمكنه أن يبحر في صفحات الويب، وأن يرسل ويستقبل البريد الإلكتروني؛ وهو أيضاً جهاز موبايل فائق الذكاء. وتكمن الخطورة الأمنية للجهاز في أنه يعد وسيلة ممتازة لنسخ أخبار المؤسسات والشركات وأسرارها وإرسالها من قبل الموظفين المتواطئين مع جهات أو أجهزة أجنبية، كما أن معلوماته ذاتها تمر عبر خوادم إلكترونية (سيرفرز) تشرف عليها أميركا وبريطانيا.

وأشارت صحيفة (لوموند) ذات الانتشار الواسع، إلى أن الأمانة العامة للدفاع الوطني في فرنسا عمدت إلى اتخاذ قرار يقضي بحظر استخدام (بلاك بيري) داخل القصر الجمهوري والوزارات الحكومية. وكشفت الصحيفة عن سرّ خطير يفيد اكتشاف حالات كثيرة كان يتم فيها نقل معلومات وبيانات حكومية حساسة عبر أجهزة (بلاك بيري) إلى جهات حكومية في كل من الولايات المتحدة وبريطانيا. وعلى الرغم من أن (بلاك بيري) أكثر تداولاً في الولايات المتحدة مما هو في فرنسا، إلا أنه أصبح يحظى بشعبية متزايدة، وخاصة في أوساط المديرين التنفيذيين للشركات والمحامين، وكثير من الفئات والشرائح الاجتماعية والاقتصادية الأخرى، بمن فيهم البيروقراطيون الحكوميون، والشخصيات السياسية. وكانت شركة

خبراء شركة نوكيا توقعوا ظهور نوع من (الموبايل) المصنوع من مواد عالية المرونة كالمطاط الطبيعي تجعله قابلاً للطي والعجن والتشكيل والتطويل والتقصير

(أورانج) الفرنسية للاتصالات التابعة لمؤسسة (فرانس تيليكوم)، التي تشرف على تشغيل أنظمة الموبايل وخدماته في فرنسا، بدأت بطرح خدمة (بلاك بيري) قبل ثلاث سنوات.

وكان الكاتب والأديب الروماني كونستانتان جيورجيو – الحائز على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٤٨م – تحت عنوان (الساعة الخامسة والعشرين)، قد حذّر من التداعيات الخطيرة التي يمكن أن تنتج عن التفوق العددي للآلات بالنسبة إلى البشر التي يستخدمونها. وتنبأ بعصر مقبل يصبح فيه البشر كلهم مجرّد عبيد لبروليتاريا الآلات، التي تتفوق عليهم عددياً. وقال على لسان مصلح اجتماعي تقمّص شخصيته في الرواية، وأطلق عليه اسم كوروغا: (لقد أشرف العالم على دخول ساعته الخامسة والعشرين؛ وهي التي لن تشرق الشمس من بعدها على الحضارة البشرية أبداً؛ والتي لن يحلّ بعدها يوم جديد. إنها الساعة التي سيتحول فيها البشر إلى أقلية بروليتارية عديمة القدرة على التفكير لا وظيفة لها غير إدارة جحافل الآلات وصيانتها وتنظيفها).

ويستعير جيورجيو كثيراً من الأمثلة والأحداث الصاخبة والمتلاحقة، التي تعجّ بها روايته لوضع صورة لعالمنا الجديد، الذي تسخّر فيه الأحاسيس البشرية كلها لضمان استمرارية هذا النظام المتميز بكثير من عناصر الانحراف الفكري والأخلاقي. ويختار لروايته بطلاً من عامة الناس أطلق عليه اسم (إيوهان موريتز)، وهو ينتمي إلى فئة من الناس توصف بالتخلّف والسذاجة لمجرّد رفضها لعبودية الآلة، والانصياع للقوانين الجائرة التي وضعت لخدمتها. واختار جيورجيو سنوات الحرب العالمية الثانية المضطربة كإطار زمني لأحداث روايته. وهو يصوّر الملايين من الناس وهم يقتلون بوحشية كبيرة دفاعاً عن مصالح واعتبارات مادية، لا تصب في النهاية إلا في مصلحة مصنّعي الأسلحة والآلات.





كمبيوتر مايكروسوفت اللمسي

ويحطّ الظلم والفساد الأخلاقي لفئة الحكّام المستبدين رحاله في بيت ريفي صغير يسكنه موريتز مع زوجته الفلاحة الجميلة سوزان في إحدى القرى الرومانية النائية. فيعتقله قائد الشرطة، ويسجنه في أحد المعسكرات الرومانية حتى يتمكن من الاستفراد بزوجته. وتحتل الجيوش النازية رومانيا فتعثر على موريتز، الذي يتم نقله من معسكر اعتقال إلى آخر لينتهي به المطاف في مصنع للأزرار تابع للجيش النازي، يعمل فيه بطريقة (السخرة). وتتلخص وظيفته هناك بالوقوف أمام سير متحرك تمر فوقه علب كرتونية ملأى بالأزرار المصنعة، فيقوم بترتيبها بعضها فوق بعض على أحد طرفي السير استعداداً لشحنها. وتكون سرعة وصول العلب على السير موافقة لأقصى سرعة يمكن لموريتز أن يرفع بها العلب من فوقه. وفي أثناء انهماكه في هذا العمل المرهق، يقوم بحك رأسه فيخسر في أثناء ذلك بضع ثوانٍ من آلية العمل مما يؤدي إلى تراكم العلب فوق السير وتوقف العمل في المصنع كله. وكان ما ناله موريتز من هذا الخطأ الشنيع أن خضع لأقسى أنواع التعذيب والاضطهاد.

هذه هي العقوبة التي تنتظر كل من يتقاعس أو يتلكأ عن أداء عمله في خدمة الآلة؛ ويا لها من صورة رائعة يمكنها أن تفسّر حال البشرية اليوم. وعلى الرغم من أن جيورجيو مات قبل أن يسمع شيئاً عن جهاز الكمبيوتر أو الموبايل، إلا أنه وضع أسس التنبؤ بحال العالم هذه الأيام. فلقد أصبح (خدم المعلومات) يشكلون أكثر من ٨٠٪ من الفئات العاملة في المجتمع الأميركي، وأكثر من ذلك في اليابان وأوربا الغربية؛ وهم الذين يوصفون بأنهم أولئك الذين يؤدون أعمالهم من خلال الشاشة ولوحة المفاتيح. وينتشرون في كل دوائر العمل من دون استثناء. ونادراً ما ترى مسؤولاً كبيراً إلا وتراه يداعب لوحة مفاتيح الكمبيوتر، أو يضع الموبايل على أذنه.

ويقول بعض الخبراء والمتنبئين بمستقبل ثورة المعلومات والآلات الذكية: إن العصر الذي كان ينشغل فيه الخبراء والمهندسون في إعمال فكرهم لابتكار الآلات ذات الوظائف الجديدة، سوف يأفل عندما تظهر جحافل الآلات القادرة على ابتكار الآلات. وعندئذ، لن تبقى ثمة من حاجة إلى الإنسان لأن يستعمل دماغه على الإطلاق؛ لأن الثورة التي يقودها الإلكترون كافية لتحقيق ما يعجز عنه.

سيل من الابتكارات الجديدة

وتتفق آراء معظم الخبراء الذين تناولوا موضوع التطور الكبير الذي ينتظر تحقيقه في تقنيات الاتصال والتواصل البشري، على أن الأيام والشهور المقبلة حبلى بالعشرات والمئات من الابتكارات الجديدة، التي لا يعرف أحد لها حدوداً، ومن ذلك - مثلاً - أن خبراء نوكيا يتوقعون ظهور أجيال جديدة من أجهزة الموبايل المدعّمة بتكنولوجيا التمييز البصري visual recognition،

المتصلة بقاعدة بيانات ذكية. ويمكن لهذه الأجهزة أن تتعرف إلى أي مبنى أو مكان شهير بمجرّد تصويب الكاميرا نحوه مثل قصر باكنجهام أو مجلس العموم البريطاني في لندن. وبمجرد رؤية الكاميرا مكاناً ما فإنها تعمد بطريقة آلية بحتة لاستحضار اسمه من قاعدة البيانات، وكتابته في مكان مناسب على الصورة.

وبهذا يكون (الموبايل) قد أضاف وظيفة الدليل السياحي إلى مئات الوظائف والخدمات الأخرى التي يتولى القيام بها الآن. وربما يأتي اليوم الذي ستكون فيه تقنية التمييز البصري لكاميرا الموبايل قد تطورت إلى الحدّ الذي يسمح للجهاز بالتعرف إلى الأشخاص ذاتهم بشرط أن تكون صورهم الشخصية الواضحة قد أدخلت مسبقاً إلى قاعدة البيانات. ويستقرئ الخبراء مستقبلاً جديداً سيهلّ على البشرية عندها ستتركز جلّ الخدمات والتطبيقات المعقدة، التي تنطوي عليها الإنترنت على خدمة (الموبايل) بدلاً من الكومبيوتر الثابت لسطح المكتب. وهذا يعني - بتعبير أبسط - أن معظم الخدمات والتطبيقات التي ينطوي عليها (الموبايل) ستتم في المستقبل ضمن بيئة الإنترنت. ويمكن القول بمعنى آخر: إن كل (موبايل) شخصي سوف يتحول إلى خادم إلكتروني (سيرفر) لشبكة الويب.

ووفقاً لما يقوله كثير من الخبراء، فإن ظهور التطبيقات الخاصة الأولى لنظام (ويب ٢،٠)، مثل خدمات مواقع الشبكات الاجتماعية، ومن أهمها موقع (يو تيوب) YouTube، الذي اكتسب شعبية كبيرة عبر العالم من خلال ما يتيحه لمستخدميه من فرص لتحميل أغاني (الفيديو كليب) وتبادلها ومشاهدتها، وخدمات موقع MySpace المتخصص في تكوين شبكة للتواصل الاجتماعي، الذي يقدم لمستخدميه فرصة التعارف وتبادل الصور والرسائل والأغاني الصوتية والمصورة. وبقية خدمات مواقع التواصل عن طريق الشبكات الاجتماعية، تمثل جميعاً أكبر تحوّل شهدته صناعة تكنولوجيا المعلومات منذ ظهورها أول مرة خلال سنوات الثمانينيات من القرن الماضي حتى الآن.

وأصبح مصطلح الشبكات الاجتماعية social networking كثير التداول في عالم الخدمات المتطورة للإنترنت. وهو يعني تأسيس المواقع على شبكة الإنترنت، بحيث تتكفل بمهمة تحقيق كثير من أوجه التواصل الاجتماعي بين البشر. وهناك عدد من الشركات السبّاقة إلى استغلال هذه الفكرة، التي حققت أرباحاً طائلة من إطلاق هذه الخدمات، مثل: موقع (يوتيوب) الذي يشغله فريق يتألف من ثلاثة مبتكرين طموحين كانوا يعملون لمصالحة شركة (باي بال) في كاليفورنيا.

ويحقق هذا الموقع للمشتركين خدمة تبادل أفلام الفيديو والصور الثابتة والنصوص والملفات والأغاني المصورة وتحميلها ومشاهدتها. ويشرف على تشغيله في الوقت الراهن ٦٧ موظفاً. وكان قد حاز في عام ٢٠٠٦م على لقب (ابتكار العام) الذي تمنحه مجلة (تايم). وفي شهر أكتوبر من العام الماضي أعلنت شركة (جوجل) عن التوصل إلى اتفاق مع شركة (يوتيوب) للاستحواذ عليها مقابل ما يقرب من ١،٦٥ مليار دولار، وتم التصديق على الصفقة في ١٣ نوفمبر من عام ٢٠٠٦م. ويمكن لمن يرغب باستخدام الموقع، من غير المشتركين فيه، مشاهدة أشرطة الفيديو والاستفادة من بعض العروض المجانية الأخرى.

ويعدّ موقع (ماي سبيس) MySpace أيضاً من المواقع ذات الشعبية الواسعة، وهو متخصص في تحقيق التواصل بين المشتركين، من خلال تبادل الرسائل والصور، والقطع الموسيقية، وأفلام الفيديو، والأغاني، ليشبه بذلك (يو تيوب). وتتخذ الإدارة المركزية للموقع من ضاحية بيفرلي هيلز الشهيرة في ولاية كاليفورنيا مقراً لها. وتعود ملكيته إلى شركة (فوكس إنتر أكتيف ميديا). ووفقاً لإحصائية أنجزتها مؤسسة (أليكسا إنترنت) فإن (ماي سبيس) يصنّف في المرتبة السادسة على المستوى العالمي، كأكثر المواقع الناطقة بالإنجليزية شعبية، فيما احتل المرتبة الثالثة في قائمة أهم مواقع الإنترنت في الولايات المتحدة.

ويستأثر (ماي سبيس) بنحو ٨٠ بالمئة من عمليات الدخول إلى المواقع الاجتماعية العالمية. وتحصد الشركة التي تشغله مبالغ طائلة من

تعمل شركة متخصصة جديدة يوجد مقرها في كاليفورنيا على إنتاج كومبيوتر آخر له شكل قلم الحبر، ويمكنه تسجيل البيانات المقروءة بطريقة صوتية، ودمجها مع الرسائل المكتوبة

وراء هذه الخدمة. ويعمل في تشغيله طاقم يتألف من ٣٠٠ موظف. وهذا يعبر بشكل أوضح عن مدى شعبية الموقع، وأن عدد المشتركين فيه فاق ١٠٠ مليون في ٩ أغسطس من عام ٢٠٠٦م، ثم قفز إلى ١٠٦ملايين في ٨ سبتمبر من العام ذاته بمعدل زيادة بلغ ٢٣٠ ألف مشترك يومياً.

أبل آي فون .. ابتكار القرن

وأحدث إطلاق جهاز الموبايل والتراسل النصّي اللاسلكي عبر الإنترنت (آي فون) في ٢٩ يونيو الماضي ضجة عالمية واسعة. وهو يعد من أهم الأجهزة التي أطلقتها شركة (آبل) في الأسواق. ويتميز بشاشته العريضة، ويجمع وظائف الموبايل و(آي بود) والتراسل النصّي الفوري عبر الإنترنت. ويتميز بشاشته الواسعة التي يبلغ قطرها ٩.٨ سنتمترات، وبوضوح صورته. ويتم إدخال المعلومات إليه باللمس المتعاقب برأس قلم حساس، وهو يعمل بنظام التشغيل: Mac OS-X. ويبلغ حجم الذاكرة في نوعيه: ٤ جيجا بايت، أو ٨ جيجا بايت؛ ويعمل بتقنيات بثّ نظام GSM بحزمة (كواد- باند) Quad-band، وبتواتر: (١٩٠٠و ١٨٠٠و ٩٠٠و ٨٥٠) ميجاهرتز. ويجمع (آي فون) الذي يبلغ وزنه ١٣٥ جراماً فقط بين وظائف الموبايل، وشاشة آي بود، وجهاز الاتصال بالإنترنت، ويتم تشغيل كل وظائفه بتقنية لمس الشاشة. وتجمع التقارير على أن (آي فون) يفتح آفاقاً جديدة في صناعة الاتصالات اللاسلكية الفردية.

وبدأت شركة نوكيا الفنلندية بدورها، ببيع هاتف خليوي أطلقت عليه اسم (نوكيا إن ٩٥) Nokia N95 يعدّ الأكثر تطوراً في هذه الصناعة منذ انطلاقها للمرة الأولى قبل نحو عقدين من الزمان. وهو يشبه جهاز (آي فون) الذي ابتدعته (آبل) من حيث التنوّع الكبير للأيقونات والألوان الزاهية، التي تنتشر في أرجاء شاشته الواسعة، ويمكنه الإبحار في الويب وتشغيل الموسيقا، وعرض أفلام السينما، وأقراص الـ(دي في دي) والفيديو.

وآثرت شركة (إلـ جي إلكترونيكس) عدم الاكتفاء بمراقبة هذه التطورات ذات المظهر التنافسي الحاد، فعمدت إلى طرح أحدث هاتف خليوي مجهز بأول شاشة تعمل بطريقة اللمس برؤوس الأصابع في الأسواق الآسيوية والأوربية. ويذكر أن شركة (برادا) لتصميم الأزياء أسهمت مع شركة (إلـ جي) في تصميم السطوح التشكيلية للجهاز الجديد؛ ولهذا فلقد أطلق عليه الاسم المشترك (إلـ جي برادا).

وفي تايوان، عمدت شركة (إتش تي سي كوربوريشن) HTC Corp إلى إطلاق موبايل جديد تحت اسم (تاتش) Touch، أو (المس) في الأسواق الأوربية والآسيوية؛ وهو يسمح لحامله بفتح الملفات من خلال الأيقونات الملونة المنتشرة على شاشته بطريقة اللمس برؤوس الأصابع، وبتقنية مشابهة لتلك التي يتميز بها جهاز (آي فون). وأدلت شركة سامسونج الكورية بدلوها في هذه الصناعة الدقيقة عندما أطلقت في الأسواق مؤخراً الموبايل الموسيقي الأكثر رقّة على الإطلاق، الذي يعرف باسم (آبستيج) Upstage. وهو الذي فضل بعض الخبراء أن يطلقوا عليه لقب (الجهاز الأصغر من دون منازع في عالم صناعة الموبايل).

وتمكن خبراء شركة (تيراديسي كوربوريشن) من ابتداع تكنولوجيا جديدة لتشغيل الكومبيوتر الشخصي، تسهّل على المستخدمين رفع كفاءتهم في معالجة التطبيقات، وتخفيض كل من الطاقة الكهربائية المستهلكة، ومصاريف التشغيل، وإصلاح الأعطال. وبدلاً من استخدام كومبيوتر شخصي كامل، يتم توصيل لوحة المفاتيح وشاشة الاستظهار (من دون وحدة المعالجة المركزية) بجهاز صغير يدعى (شفرة الكومبيوتر الشخصي) PC blade. ويتكفل بإرسال الإشارات بواسطة سلك إلى خادم إلكتروني مشترك (سيرفر) يتولى تشغيل البرامج التطبيقية. ويمكن استخدام عشرات شاشات سطح المكتب المتصلة بـ (الشفرات) بخادم إلكتروني مشترك وحيد بدلاً من استخدام وحدة معالجة مركزية CPU لكل جهاز.

ويبدو تطبيق هذه الفكرة بسيطاً من الوهلة الأولى، إلا أن الصعوبة الحقيقية تكمن في تحقيق الاستفادة القصوى، التي تتيحها هذه التكنولوجيا، والتي تتلخّص بتشغيل النظام حتى عندما تكون المسافة الفاصلة بين الخادم الإلكتروني وبقية الأجهزة المتصلة به عشرات أو حتى مئات الكيلومترات، وبشرط أن يحتفظ الجهاز بقدرته العالية على معالجة المعلومات والبيانات والصور واختزانها.

الشركات المنتجة للكاميرات الرقمية لا تفكر إلا بعقل اقتصادي يتطلع إلى الربح السريع من خلال غزو الأسواق بمنتج جديد





ونقل تقرير كتبه دون كلارك - خبير الأجهزة الرقمية في صحيفة (ذي وول ستريت جورنال) - عن دان كوردينجلي المدير التنفيذي السابق لشركة إنتيل، الذي يشغل الآن منصب المدير التنفيذي لشركة (تيراديسي) قوله: إن الهدف الأساسي الذي تسعى إليه شركته يكمن في تذليل هذه الصعوبات، بحيث لا يشعر مستخدمو (شفرة الكومبيوتر) بأي فرق عن استخدام كومبيوتر سطح المكتب العادي، حتى عندما يكون الخادم الإلكتروني الذي يتكفل بتخزين المعلومات التي يعالجونها وتوصيلها بعيداً عنهم مئات الكيلومترات. وصرّح بعض المستخدمين، الذين تلقوا دعوة من الشركة لاختبار هذه التقنية المثيرة، بأنها سجلت بالفعل المستوى المطلوب من النجاح.

وينقل التقرير عن جو ماكويد - رئيس شركة (ديفون آي تي) - التي تتعاون مع شركة (آي بي إم) في تطوير التقنية الجديدة قوله: «إن ما يمكن لهذه التقنية أن تفعله يعدّ أمراً غير قابل للتصديق».

ويقول بروس كوهين - المدير العام التنفيذي لشركة (كليركيوب تكنولوجي) الرائدة في صناعة شفرات الكومبيوتر الجديدة-: «أعتقد أن هذه التقنية سوف تصيب مستخدميها بالذهول».

ويرى كثير من الخبراء أن الفصل بين (مجموعة التطبيق)، التي تتألف من الشاشة، ولوحة المفاتيح، والفأرة، و(مجموعة المعالجة والتخزين)، التي تتألف من (الخادم الإلكتروني)، يمكنه أن يوفر كثيراً من التكاليف بالنسبة إلى المؤسسات التي تستخدم عدداً كبيراً من الحواسيب.





وتأتي مؤشرات أخرى للتغيير والتطور من شركة مايكروسوفت، والشركات المتخصصة العاملة في وادي السيليكون. وخلال مؤتمر نظمته صحيفة (ذي وول ستريت جورنال) وتمحورت أشغاله على أحدث التكنولوجيات في صناعة تكنولوجيا المعلومات، كشفت مايكروسوفت عن نتائج بحث دام ٦ سنوات، وحظي بدعم شخصي من بيل جيتس - رئيس الشركة، وتجلت ثمرة هذا البحث بظهور كومبيوتر جديد، اتخذ شكل طاولة ذات سطح مستو، يمثل الشاشة اللمسية يمكن استظهار الملفات والصور عليها، وأطلق عليه اسم (مايكروسوفت سيرفيس كومبيوتر) Microsoft Surface Computer، ويمكن ترجمة اسمه إلى العربية (كومبيوتر مايكروسوفت السطحي)، وهو يعدّ أول كومبيوتر مصمم للإنتاج على المستوى التجاري في العالم. ويبلغ قياس شاشة استظهار الصور والنصوص فيه ٣٠ بوصة، وهو على شكل طاولة. ويمكن للمستخدم التفاعل معه من خلال لمس الملفات برؤوس الأصابع. ولا تستخدم في الجهاز الفأرة (الماوس) ولا لوحة المفاتيح مما يسمح لمستعمله بالدخول المباشر إلى المحتويات الرقمية المخزونة في ذاكرته.

ويقول بعض الخبراء الذين تفحصوا (الكومبيوتر السطحي) الجديد: إنه مناسب لأعمال إدارة المؤسسات السياحية، كشركات الطيران، والفنادق والمنتجعات السياحية؛ لأنه يتضمن البرامج التطبيقية التي تسمح للمستخدمين بحجز المقاعد، أو الغرف المناسبة، وشراء التذاكر بطريقة لاسلكية، كما يعدّ الجهاز مثالياً لممارسة الألعاب الإلكترونية، وعرض الصور.

ومن جهة أخرى، تعمل شركة متخصصة جديدة يوجد مقرها في كاليفورنيا على إنتاج كومبيوتر آخر له شكل قلم الحبر، ويمكنه تسجيل البيانات المقروءة بطريقة صوتية، ودمجها مع الرسائل المكتوبة. وتوشك علاقة التزاوج القائمة بين الكاميرات الرقمية والكمبيوتر الشخصي على الانهيار، بعد ابتكار نماذج أكثر تطوراً منها، يمكنها الاتصال بشكل مباشر بالإنترنت، وإرسال البريد الإلكتروني واستقباله. وذكر تقرير للمحلل كريستوفر لوتون، نشرته صحيفة (ذي وول ستريت جورنال)، أن الشركات الرائدة في صناعة الكاميرات الرقمية، وعلى رأسها نيكون وإيستمان كوداك وسوني، ابتكرت كاميرات رقمية جديدة، مجهزة بأحدث التكنولوجيات اللاسلكية المتكاملة للاتصال بالإنترنت، مثل: (واي - فاي)، و(بلوتوث). وكانت بعض الكاميرات الرقمية تسمح لمستخدميها بتحويل الصور الملتقطة بطريقة لاسلكية إلى الكمبيوترات القريبة منها من دون الحاجة إلى استخدام شبكات الكابلات المعقدة، إلا أن الجيل الجديد منها أضاف بعداً جديداً للاتصال اللاسلكي بالإنترنت، وأصبحت الكاميرات الجديدة قادرة على إرسال الصور الملتقطة بشكل فوري إلى أي كمبيوتر شخصي في العالم، مهما كان بعيداً، وبات في وسعها إرسال الصور إلى الموبايل أيضاً مباشرة من دون الاستعانة بكمبيوتر شخصي. ويتم نقل الصور في هذه الحالة عبر مواقع تبادل الصور التي أصبحت شائعة بكثرة عبر الشبكات الاجتماعية.

وقدمت شركة سوني اليابانية مؤخراً كاميرتها الرقمية الأولى، التي يمكنها إرسال الصور واستقبالها من كاميرات سوني الشبيهة بها وإليها بطريقة لاسلكية، كما يمكنها تحميل الصور لاسلكياً على ذاكرات الكمبيوترات الشخصية. وأطلقت شركة نيكون في شهر فبراير الماضي كاميرا جديدة يمكنها إرسال الصور ذاتياً

عبر البريد الإلكتروني إلى موقع Flicker الذي تشغله شركة ياهو على الإنترنت، أو إلى أي عنوان على البريد الإلكتروني مباشرة. ويمكنها أيضاً تحميل الصور على ذاكرات كاميرات (نيكون) للصور، إضافة إلى مواقع الإنترنت المتخصصة في تحميلها.

ومع أن السعي إلى إضافة التكنولوجيا اللاسلكية إلى الكاميرات الرقمية بدأ قبل سنتين، إلا أن الفكرة لم تحقق نجاحاً يذكر إلا مؤخراً. ويأتي هذا النجاح الجديد نتيجة لجهود مكثفة بذلها الخبراء؛ لتحويل الكاميرات الرقمية إلى أجهزة مستقلة، لا تحتاج إلى أجهزة وسيطة لأداء مختلف وظائفها. ومن المعلوم أن الكاميرات الرقمية التقليدية تحتاج إلى جهاز كمبيوتر شخصي، أو لاب توب لتحميل الصور حتى يتمكن مستخدمها من استظهارها أو إرسالها عبر البريد الإلكتروني إلى كمبيوتر آخر. وكثيراً ما كان هذا القصور يسبب المشكلات المعقدة للصحفيين، أو السياح المسافرين إلى أماكن بعيدة، إلا أن الكاميرات الجديدة ذات القدرة الخاصة على إرسال الصور عبر البريد الإلكتروني وضعت حداً نهائياً لهذا القصور.

ولأن الشركات المنتجة للكاميرات الرقمية لا يمكنها أن تفكر إلا بعقل اقتصادي يتطلع إلى الربح السريع من خلال غزو الأسواق بمنتج جديد يؤدي خدمات جديدة، فإن سعيها إلى ابتداع الكاميرات اللاسلكية يأتي من أجل تنشيط مبيعاتها بعدما أشارت توقعات خبراء أسواق الإلكترونيات إلى أن هذه المبيعات ستتراجع بمعدل ٢,٦ بالمئة بحلول عام ٢٠١٠م. ولا يمكن تفسير هذا التراجع المتوقع بتراجع ميل المستهلكين إلى استخدام التصوير الرقمي، بل يعزى إلى التطور السريع الذي تشهده الكاميرات الرقمية لأجهزة الهاتف الخليوي (الموبايل)، التي تتمتع سلفاً بالقدرة على إرسال الصور على خط تشغيل الجهاز بالطريقة نفسها تناقل الرسائل الصوتية أو النصّية (إس إم إس). ومن أشهر الكاميرات اللاسلكية الجديدة تلك التي أطلقتها شركة سوني تحت اسم Cyber-shot، وكامير Coolpix التي أطلقتها نيكون، وكاميرا Easy share- one من شركة كوداك.

وفيما نختتم هذا العرض لأهم التطورات التي تشهدها تكنولوجيا المعلومات، فإن من المؤكد أن جميع الاختراعات التي تعرضنا لها بإيجاز، قد تصبح مجرد ذكريات، أو حديثاً في تاريخ التطور العلمي خلال السنوات المنقضية بين إعدادها وظهورها على صفحات هذه المجلة الرائدة.



أبو صفية، جاسر بن خليل/حقوق المرأة في البرديات العربية على ضوء الكتاب والسنة .- الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ٣٢٨ص (تحقيق التراث؛ ١٢).

تهدف هذه الدراسة إلى بيان حقوق المرأة في الوثائق البردية العربية، على ضوء الكتاب والسنة النبوية، وهو موضوع يعتمد اعتماداً أساسيًا على الوثائق الشرعية من مختلف العصور الإسلامية، ومقابلتها بما جاء في كتب الحديث والفقه والسيرة.

ويرى المؤلف أن الجديد في هذا الباب هو بيان حقوق المرأة كما جاءت في الوثائق البردية الفقهية، التي تعد بحق إنفاذًا عمليًا لما جاء في القرآن الكريم، والسنة النبوية المشرفة، وهي وثائق مؤرخة في العصر الذي كتبت فيه، ليست مصنوعة، ولم يطلع عليها الفقهاء، ولا الباحثون المحدثون.

والوثائق الفقهية التي درست في هذا البحث هي: عقود الزواج والطلاق والخلع والإبراء والنفقة، وعقود البيع والشراء والعتق والكراء والشراكة والمكاتبة والوقف والشكاوى، إلى غير ذلك من المعاملات المالية التي كانت تتولاها المرأة.

ويقع الكتاب في فصلين وفرش، بين في الفرش أهمية البرديات الفقهية في تقديم صورة مشرقة للمرأة المسلمة، وتمتعها بحقوقها كاملة في كل المجالات، وهي صورة مستوحاة من أوامر الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وجاء في الفصل الأول دراسة لما جاء في الأحاديث النبوية وكتب الفقه حول حقوق المرأة، ثم دراسة مفصّلة لمضمون الوثائق البردية التي تبين حقوق المرأة.

وكان الفصل الثاني نصوص الوثائق البردية كاملة محققة، ويتلوها صور الوثائق التي استطاع المؤلف الحصول عليها، ثم خرائط تبين مواقع بعض المدن التي ذكرت في النصوص، وقد أشار المؤلف في مقدمة هذا الفصل إلى المنهج الذي اتبعه في تحقيق النصوص.

قضايا

الأعمال العربية

المترجمة في الصين

تشو وي ليه
(بروفسور عبدالجبار)
شنغهاي - الصين

مراحل ترجمة الأعمال العربية الثقافية إلى الصينية

- لقد نشرت بحثاً بعنوان «الأدب العربي المترجم في الصين» في مجلة «الترجمة الصينية» العدد الثالث عام ١٩٨٦م، مشيراً إلى أن «قصيدة البردة» لشرف الدين محمد بن سعيد البوصيري (١٢١٣م - ١٢٩٥م) ترجمها إلى الصينية العلامة المسلم المشهور ما ده شين (١٧٩٤م - ١٨٧٤م) بعد أن حج إلى مكة المكرمة عام ١٨٤١م. ثم قام برحلة علمية تشمل القاهرة، والإسكندرية، والقدس، وإسطنبول، وعدن، وغيرها؛ للتعرف إلى علماء المسلمين؛ ولجمع أمات كتب الدين الإسلامي. ثم انتهى تلميذه السيد ما آنلي إلى إكمال ترجمتها وطبعها عام ١٨٩٠م، وهي في الواقع تسبق طبعة ترجمة (غادة الكاميليا) للمؤلف الفرنسي إسكندر دوماس الابن (١٨٢٤م - ١٨٩٥م) بثماني سنوات. ومع ذلك، ظلت ترجمة (غادة الكاميليا) من أول الأعمال الأدبية الأجنبية المترجمة في تاريخ الترجمة الصينية الحديث، بسبب أن «قصيدة البردة» كان انتشارها وتوزيعها قد انحصر في وسط المسلمين الصينيين فقط.

ومن المسلم به في الصين على وجه العموم أن المدة التي تراوح بين طباعة «قصيدة بردة» وتأسيس جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩م، بمنزلة مرحلة أولى لترجمة الأعمال العربية الثقافية، وكان يبرز فيها أهم الأعمال المترجمة: قصص «ألف ليلة وليلة»، و«النبي» لجبران خليل جبران.

وجوه كثيرة للوجود الإسلامي في الصين







عبدالسلام العجيلي

فظهرت أولى قصص ألف ليلة وليلة المترجمة من اللغة الإنجليزية عام ١٩٠٠م. وفي نحو نصف القرن الأول أطلق على كل أنواع طبعاتها اسم «أسمار في بلاد الكعبة»، وهذا اتباعاً لمصطلح العربية المستعمل في قديم الصين. وأن المترجم الصيني الوحيد الذي قام بترجمتها من اللغة العربية مباشرة، هو السيد محمد نور نان شون (١٩١١ - ١٩٨٩م)، وكان موفداً إلى جامعة الأزهر، وتفرغ لتعلم اللغة العربية وآدابها من عام ١٩٣٤ حتى عام ١٩٤٧م. وأدى دوراً ريادياً في هذا الميدان، ظهرت طبعة ترجمته (٥ مجلدات) إلى حيز الوجود في مستهل أربعينيات القرن الماضي، ثم أنهى ترجمة المجموعة الكاملة لـ «ألف ليلة وليلة» بحسب طبعة بولاق المصرية عام ١٨٣٥م.

إن من أوائل الأدباء الصينيين، الذين قدموا جبران خليل جبران وأعماله إلى جمهرة قرائنا الصينيين، أديبان كبيران، أحدهما السيد ماو دينغ (١٨٩٦ - ١٩٨١م) الذي كان يتولى منصب وزير الثقافة ورئيس اتحاد الكتاب لمدة غير وجيزة بعد تحرير الصين، وقد نشر في مجلة «الأدب» الأسبوعية في سبتمبر عام ١٩٢٣م، خمس ترجمات من أعمال جبران الإنجليزية، أي: «الناقدون» و«الأثمان» و«البحار الأخرى» و«القديس» و«الصحيفة البيضاء» مأخوذة كلها من مؤلفه «السابق». والآخر السيدة بينغ شين (١٩٠٠ - ١٩٩٩م)، وهي كاتبة ذائعة الصيت في الصين، وأديبة تحظى بمحبة الشعب الصيني وإجلاله، ولها يد بيضاء في ترجمة كتاب «النبي» وطبعه بكامله في شانغهاي عام ١٩٣١م.

ولكن في نصف القرن هذا، لم نجد إلا ندرة من الأعمال العربية المترجمة، وكان أهمها - الذي ترك انطباعاً أعمق في أذهان القراء الصينيين - هو «ألف ليلة وليلة»، وكاد أن يكون هذا العنوان مرادفاً للأدب العربي.

- المرحلة الثانية لترجمة الأعمال العربية إلى الصينية ابتدأت بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩م، وانتهت بالثورة الثقافية التي أخذت تجتاح أرض الصين خصوصاً وسط المثقفين، من عام ١٩٦٦م إلى عام ١٩٧٦م. وخلال هذه المدة، ولاسيما بعد إقامة العلاقات الرسمية بين الصين، ومصر، وسورية، واليمن عام ١٩٥٦م، ثم مع الجزائر.. وسائر الدول العربية. كانت أنشطة ترجمة الأعمال العربية تشهد تطوراً ملحوظاً، وذلك يتفق مع دعم الصين وتأييدها الشعوب العربية في نضالاتها ضد الاستعمار والإمبريالية، وفي حركاتها الوطنية في سبيل التحرر والاستقلال. فوضعت الأجهزة الثقافية الحكومية ودور النشر الصينية الأدب العربي موضع الاهتمام، واهتمت اهتماماً كبيراً بتنظيم ترجمة عدد من الأشعار والقصص العربية وطباعتها، مثل: «مجموعة الأشعار العربية المعاصرة»، و«أغاني الحياة» للشاعر التونسي أبي القاسم الشابي، و«صوت إفريقية»، و«النصر حليف للجزائر».. إلخ. وتتصف كلها بلون سياسي واضح، وتجيش فيها حماسة وطنية قوية. وفي الوقت نفسه بدأ القراء الصينيون يعرفون بعض روائع القصص العربية لمحمود تيمور، ويوسف إدريس، ومحمد صدقي، وعبدالرحمن الشرقاوي، وغيرهم من الأدباء المصريين والعرب، حتى تمت ترجمة الجزء الأول من «الأيام» لعميد الأدب العربي طه حسين إلى الصينية في بداية الستينيات. ويتضح من تلك



محمود تيمور



طه حسين



إحسان عبدالقدوس

الأنواع المترجمة إلى اللغة الصينية أنها كانت تحرص على توجهها السياسي، في حين يجري اختيار الأشعار أو القصص بهدف تعزيز علاقاتها مع الدول العربية الصديقة. ولذا كانت الأعمال العربية المترجمة في هذه المرحلة تسمى باسم الأدب العربي التقدمي.

إن الثورة الثقافية الصينية التي استمرت نحو عشر سنوات هي في حقيقة الأمر محنة وثورة على الثقافة، فكان الجمع الغفير من المثقفين يعيشون حياة اضطرابات وعذاب، إلا أن قلة من المستعربين الصينيين قد شاركوا في ترجمة عدة مؤلفات تاريخية وجغرافية عربية، تبعاً لتنظيم الجهاز الحكومي.

- دخلت الصين الشعبية عهداً جديداً ابتداً من نهاية سبعينيات القرن الماضي، باتخاذها سياسة الإصلاح والانفتاح على الخارج. فكانت قضية ترجمة الأعمال العربية، في المرحلة الممتدة خلال العقدين الأخيرين، تشهد ازدهاراً منقطع النظير من حيث الكمية والنوعية. ويمكن هنا تلخيص هذا الرصيد المحترم من ترجمة الأعمال الثقافية والأدبية العربية في عدة خصائص:

دخلت الصين الشعبية عهداً جديداً ابتداً من نهاية سبعينيات القرن الماضي، باتخاذها سياسة الإصلاح والانفتاح على الخارج

أولاً: كان العمل الأدبي يعد العنصر الرئيس للمؤلفات المترجمة إضافة إلى الاهتمام بأمات الكتب والأعمال الثقافية. فقد وصل عدد أنواع الأعمال الأدبية العربية المترجمة إلى الصينية أكثر من مئة، تشتمل على مختلف الأشكال الأدبية: شعر، ونثر، وقصص، وروايات، ويتم اختيارها حسب مكانة الأعمال ومؤلفيها في تاريخ الأدب العربي، وفي وسط الأدب العربي، وهذا يدل على أن المترجم أخذ يضع مقياس القيمة الأدبية والإنسانية في المقام الأول. وفي الوقت نفسه كان كبار الأساتذة المستعربين الصينيين يطبعون ترجماته العلمية التي استغرقت عشرات السنين مثل: «معاني القرآن الكريم»، و«الحديث الشريف»، و«فجر الإسلام»، و«ضحى الإسلام»، و«ظهر الإسلام» تأليف أحمد أمين، و«رحلة ابن بطوطة»... وهذا الأمر قدم مساهمة جليلة في بناء علم الديانة، وعلم التاريخ، وعلم الفلسفة، والعلوم الاجتماعية الأخرى في الصين وتنميتها.

ثانياً: كانت هذه الترجمات تشمل الأعمال العربية من الخليج إلى المحيط. كما تحتل المؤلفات المصرية أكبر جزء منها. فقد سعى المترجمون الصينيون - بقدر المستطاع - إلى تقديم صورة كاملة عن الأدب العربي إلى القراء، وعليه ظهرت في سوق الكتاب الصيني أنواع كثيرة من الأعمال العربية الممتازة، مثل: «المصابيح الزرق»، و«الشراع والعاصفة» لحنا مينا. و«تاريخ الأدب العربي» لحنا الفاخوري، و«القصص القصيرة» لعبدالسلام العجيلي، و«الأعمال الأدبية» لميخائيل نعيمة، و«رجال في الشمس» لغسان

اللغة العربية في الصين بحاجة إلى تشجيع



كنفاني، و«ثلاثية: سأهبك مدينة أخرى» لأحمد إبراهيم الفقيه، و«موسم الهجرة إلى الشمال» (طبعات ثلاث) للطيب صالح. و«ريح الجنوب» لعبد الحميد بن هدوقة، والقصص القصيرة لعبدالمجيد جلون، ومختارات من قصائد الشاعرة سعاد الصباح.. إلخ.

وكانت المؤلفات المصرية تتمتع، كالمعتاد، بالنصيب الأكبر في كل هذه الترجمات الصينية، ذلك أن التأثير المصري واضح وظاهر للعيان في المترجمين. فكرياً أو ثقافياً. سواء في تحديد نوع الكتاب، أو اختيار المؤلفين. بحيث أصبحت أسماء نجيب محفوظ، وتوفيق الحكيم، ومحمد حسين هيكل. وثروت أباظة. ويوسف السباعي، وإحسان عبدالقدوس، ويحيى حقي، ويوسف الشاروني، ومحمد عبدالحليم عبدالله.. وغيرهم من كبار الأدباء والكتاب المصريين، معروفة، أو كثيراً ما تترامى إلى سمع الدارسين

والباحثين في مجال بحوث الآداب الأجنبية.

ثالثاً: يرجع ازدهار سوق الكتب العربية المترجمة في الصين - حينذاك - إلى سببين، أحدهما: أن صف المترجمين المكون من ثلاثة أجيال: المسنين، والكهول، والشبان، كانوا كلهم متحمسين بجهودهم الكبيرة لتقديم الأعمال العربية القيمة والمتفقة مع الظروف الصينية. والآخر: أن أبناء الشعب رغبوا جداً - بعد تخلصهم من سياسة الانغلاق - في معرفة ما يحصل في الخارج، من خلال قراءة الأعمال الأجنبية بما في ذلك العربية أدبياً وثقافياً وفنياً.

أنشطة ترجمة الأعمال العربية في ظل عملية العولمة

وتمشياً مع ارتفاع مستوى اقتصاد السوق في الصين، وتعجيل خطاها للانضمام إلى منظمة التجارة العالمية، منذ منتصف الثمانينيات، فقد طرأت على توجه الطلبة والشبان تغيرات كبيرة، تؤدي بهم إلى مفاضلة اختصاصات الاقتصاد والإدارة والمالية، وإلى زجهم في الوافدين إلى أمريكا والدول الأوربية واليابان سنوياً بحيث - ليس من باب الاستغراب - أن اللغة الإنجليزية (واليابانية في بعض الأحيان) صارت الأكثر انتشاراً وتعميماً، يقبل عليها الجيل الناشئ الصيني؛ لكونها من ضرورات الدراسة في الخارج، والحصول على فرصة العمل في الشركات والمنشآت الأجنبية المقامة في الصين. فنتيجة لذلك انخفضت الحاجة في سوق الكتب الصينية إلى الأعمال الأدبية أو الثقافية الأجنبية بشكل ملحوظ، ما عدا الكتب المدرسية والمعجمات المختلفة للغة الإنجليزية، التي ظلت تلقى حظوة دائماً.

ومما يستحق الإشارة إليه هنا أن مستوى تدريس اللغة العربية في الصين بقي في طليعة الدول التي تعلّم غير الناطقين بها لمدة طويلة نسبياً، ولكن بعد حرب الخليج شهدت قضية تدريسها هذه انكماشاً وتقلصاً بالتدريج، إذ لم تعد الأسر الصينية تشجع أبناءها المتازين لدراسة هذه اللغة الصعبة والمستعملة في منطقة مضطربة

الظروف التي تقع فيها العربية في الواقع أحسن من ظروف اللغات الشرقية الأخرى، وذلك بفضل دعم الحكومة المستمر لها

الثورة الثقافية الصينية التي استمرت نحو عشر سنوات هي في حقيقة الأمر محنة وثورة على الثقافة، فكان الجمع الغفير من المثقفين يعيشون حياة اضطرابات وعذاب

وغير مستقرة إضافة إلى وجود صعوبة في التعيين بعد تخرّجهم. وعلى الرغم من أن وزارة التربية والتعليم تسمح للجامعات التي يفتح فيها اختصاص اللغة العربية بتطبيق سياسة الأفضلية بقبول طلبتها من المدارس الثانوية على درجة أولى قبل موعد امتحان الدولة، ومع أن الأجهزة الحكومية ظلت تختار وتقبل عدداً من خريجيها كل سنة، لكن عدد المقبولين هذا محدود على أي حال، وحتى في المؤسسات أو مكاتب التجارة القليلة، التي يديرها أو يشارك فيها العرب في بعض المدن الصينية، تستعمل أيضاً اللغة الإنجليزية، فبطبيعة الحال يراود أغلبية الطلبة في أقسام اللغة العربية القلق والخشية على مستقبلهم بعد تخرّجهم، وكثيراً ما ينكبون وهم في المدة الدراسية بالجامعة على دراسة الإنجليزية لا العربية. هذا وقد حدث أن بعض المدرسين الشبان الممتازين في اختصاص اللغة العربية تحولوا إلى ممارسة التجارة، أو الشؤون الإدارية، تاركين المناصب التدريسية، وبعضهم الآخر سافر إلى الولايات المتحدة للحصول على درجة الدكتوراه، بعد أن استحال تحقيق أمنيتهم هذه في الدول العربية.

ويترتب على كل ذلك أن الثغرة الكائنة بين سلف المستعربين الأكفاء وخلفهم من حيث عدد الأفراد ومستوى اللغة والحض على تدريسها ودراستها، تتوسع باستمرار في هذه السنوات، كما كانت أنشطة ترجمة الأعمال العربية تتعرض لقيود شتى، تتمثل في عدم تمكن الأساتذة والباحثين الصينيين من معرفة الأعمال العربية الجديدة؛ لقلة فرص التواصل العلمي بينهم وبين كبار المفكرين العرب، ونظر كثير من دور النشر الصينية إلى سوق الكتب نظرة الأرباح أولاً ودائماً... وإلخ.

ولكن ظاهرة تقليل أنواع الأعمال العربية المترجمة في الصين في أواخر القرن الماضي ليست باستثنائية منفردة تستدعي الغرابة والانزعاج، وأن اللغة العربية شأنها شأن معظم اللغات

الأجنبية. لا مفر من أن تتأثر دراستها وتدريسها بالاتجاهات الشائعة التي لا تخلو من البراغماتية في المجتمع الصيني، وأن الظروف التي تقع فيها العربية في الواقع أحسن من ظروف اللغات الشرقية الأخرى بكثير، وذلك بفضل دعم الحكومة المستمر لها، مادامت العلاقات الصينية العربية تتطور بسلاسة وتوفيق، وظل حجم الجامعيين بالمستويات الثلاثة: (الليسانس ٤ سنوات، والماجستير سنتان ونصف السنة، والدكتوراه ٣ سنوات) يفوق ثلاثمئة تقريباً خلال هذه الأعوام المنصرمة، وما زالت الآمال تحدونا في دفع اختصاص العربية في الصين بما فيه الدراسة والتدريس والبحوث والترجمة إلى التقدم باستمرار.

التطلع إلى تكثيف التواصل بالجهود المشتركة

ومما لا شك فيه أن قيام منتدى التعاون الصيني العربي يجعلنا نتمكن من استثارة الماضي لاستشراف المستقبل الأفضل في ترجمة الأعمال العربية إلى الصينية، إذ جاء تأكيد إعلان المنتدى لتمكين الطرفين من إجراء حوار الحضارات بما يخدم تعميق التفاهم بين شعوب العالم ودعم علاقات التفاهم والحوار بين الطرفين وتطويرها، كما تزداد حاجة كل من طرفينا إلى معرفة الطرف الآخر، من حيث القيم الروحية والإنسانية، وطريقة التنمية الاقتصادية والاجتماعية، والمنجزات الثقافية والحضارية؛ وذلك مع تطور العلاقات الصينية العربية المتميزة بشكل شامل ومعمق في إطار هذا المنتدى.

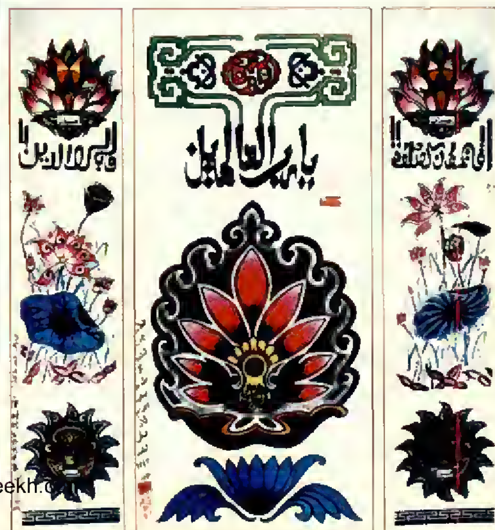
مازال التفاهم المتبادل بين الصين والعالم العربي منذ دخولهما في عملية العولمة لم يصل إلى المستوى المطلوب بالمقارنة مع علاقاتنا السياسية القائمة

ويمكن ذكر بعض البرامج والأعمال في معهد الدراسات الشرق أوسطية خلال هذه الأعوام القليلة الماضية.

- لقد ترجمنا وطبعنا «الوطنية في عالم بلا هوية - تحديات العولمة»، و«مفترق الطرق» بتأليف معالي الدكتور حسين كامل بهاء الدين - وزير التعليم السابق - و«رحلة إلى الصين» بتأليف الأستاذ رجب البنا - رئيس تحرير مجلة أكتوبر - و«الصين بعيون مصرية» المشتمل على كتاب بالعنوان نفسه بتحرير الدكتور محمد نعمان جلال - السفير المصري الأسبق في الصين - ومؤلف الأديب شوقي جلال «الصين - التجربة والتحدي». وفضلاً عن هذا قد انتهينا مؤخراً من ترجمة «صحيح البخاري» بكامله إلى الصينية.

- قد حددنا المشروع البحثي لترجمة مجموعة من الأعمال الثقافية الكلاسيكية وتحقيقاتها، وتتكون من «المعلقات السبع»،





و«المقدمة» لابن خلدون، و«رسالة الغفران» لأبي العلاء المعري، و«البخلاء» للجاحظ، و«المقامات» للحريري، و«تهافت التهافت» لابن رشد، و«الأدب الصغير والأدب الكبير» لابن المقفع، و«أخبار الصين» لسليمان التاجر وأبي زيد حسن السيرافي.... وهذا المشروع ممول من معهدنا لدراسات الشرق الأوسط، ويشارك فيه عدد من الأساتذة الأكفاء الذين يمثلون خمس الجامعات الصينية المشهورة، ونأمل من خلال هذا المشروع أن يقف في ناحية، دليلاً دامغاً على أن العرب يمتلكون تراثاً غنياً مهماً ونفيساً عبر التاريخ، يساهم في كنز العلوم والثقافة للإنسانية، إضافة إلى كتب الدين الإسلامي القيمة و«ألف ليلة وليلة» التي يعرفها أهل الصين. وفي ناحية أخرى يمكن أن يقدم بعض المراجع والتسهيلات لمن يرغب من العلماء أو المفكرين الصينيين في فعاليات الحوار الحضاري مع نظرائهم العرب أو المسلمين.

- أما في بكين، فقد وقعت اتفاقية لترجمة أفضل مئة وخمس روايات عربية بين الدكتور علي عقلة - رئيس اتحاد الكتاب السوريين - والسيد السفير الصيني الأسبق في دمشق. وإن مشروع الترجمة هذا على جانب كبير من الأهمية في زيادة معرفة الصينيين بقيمة الأدب العربي ومكانته في الآداب العالمية، ذلك بفضل أن الطرف السوري قدم بعض التمويل، وهذا الأمر يخفف - قليلاً - من أعباء وخسارة مالية لدار النشر والطباعة الصينية.

وخلاصة القول: أن الصين والدول العربية حكومات وشعوباً، ترغب في توثيق التعاون المثالي والجماعي على مختلف الأصعدة، وتعزيز الصداقة التقليدية القائمة وتطويرها، التي تبلورت عبر التاريخ الطويل، ولكن، مازال التفاهم المتبادل بين الصين والعالم العربي منذ دخولهما في عملية العولمة، خصوصاً فيما يتعلق بالطرف الآخر من البناء الاقتصادي والتنمية الاجتماعية والتوجه القيمي والتجارب والخبرات... إلخ، لم يصل إلى المستوى المطلوب بالمقارنة مع علاقاتنا السياسية القائمة. وفي حاجة ماسة للتكثيف والتعميق. وبناء على هذا يجب على رجال الفكر والثقافة من طرفينا أن يواصلوا بذل جهود أكبر لتنشيط التواصل الثقافي والعلمي، بما في ذلك القيام بأنشطة الترجمة، وهي تؤدي دوراً مؤيداً ومنسقاً لتطوير العلاقات الصينية العربية بكل أبعادها.



العبد الجبار، الجوهرة بنت عبدالرحمن/ حركة نشر كتب التراث في الجامعات السعودية (دراسة تحليلية).- الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ٣٥٧ص (السلسلة الثانية؛ ٤٧).

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف إلى نشر كتب التراث وتطورها، مع إجراء دراسة تحليلية لواقع هذه العملية في الجامعات السعودية، والبحث في تاريخ هذا النشر، وتطوره، والواقع الذي وصل إليه، كما تهدف إلى التعرف إلى أهمية هذه الكتب، وإبراز الدور الذي يمكن أن تقوم به هذه الجامعات لإحياء المخطوطات، ويتمثل ذلك على النحو التالي:

- التعرف إلى الأسس العلمية للنشر الجامعي لكتب التراث وأهدافه.
- التعرف إلى الاتجاهات الموضوعية، والعددية، والنوعية، والسياق الزمني لنشر كتب التراث في الجامعات السعودية، ومدى تحقيقها الأهداف التعليمية، والبحثية في كل واحدة منها.
- التعرف إلى الإجراءات التي يتم بموجبها نشر كتب التراث في الجامعات السعودية، ابتداءً من البحث عن كتب التراث المراد نشرها، وانتهاءً بإخراجها بالشكل المعد.
- دراسة القواعد المتوافرة في كل جامعة، والمنظمة لعملية نشر كتب التراث فيها، وغير ذلك من الأهداف.

وتنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية كتب التراث، التي تعد أساساً وقاعدة لأغلب العلوم التي استندت على التراث العربي والإسلامي وعلومه، بل يغلب على العلوم الحديثة كافة اعتمادها، واستقاؤها أصولها، وجذورها، من هذا التراث. وتقع الدراسة في خمسة فصول، جاءت تحت العناوين الآتية: «خطة الدراسة ومنهجها»، و«كتب التراث والنشر»، و«اتجاهات نشر كتب التراث»، و«الجوانب المتصلة بنشر كتب التراث»، و«قنوات نشر التراث ومصادره في الجامعات السعودية».

وختمت الدراسة بـ«النتائج والتوصيات»، ومقترحات لدراسات مستقبلية.



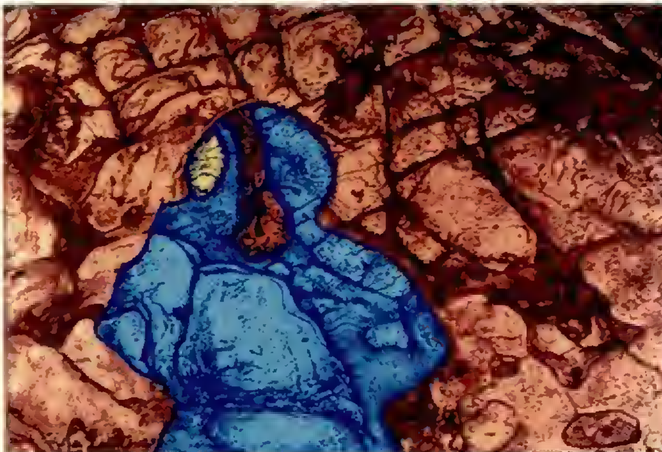
أنشودة الطوفان

ألما عصام محمود ترشحاني

حلب - سورية

«إلى الانتفاضة المباركة»

أنا .. زيتونة الآلام والأزمانْ
أنا .. مولودة الشهداء ..
أنا .. التاريخ في الإنسانْ
فلسطينيةٌ ناري
فلسطينيةٌ لغتي،
وأغواري ..
فلسطينيةٌ سُحُبي،
وأشجاري ..
سأذكر كيفَ،
دوَّنني الحريقُ
على دفاترِه
وأدمنَني حديثُ الدّمِ،
والبارودِ،
والريحانْ..
سأذكر كيف وَحّدني
ـ أنا عربيةُ الأشجانِ ـ
وَحّدني الترابُ
بِوردةِ القرآنْ ..
وَوَحّدني الهواءُ
بجَذوةِ الطوفانْ
أنا أنشودةُ المَهْدِ الطعينِ
ودمعةُ الأقصى
أنا
أيقونةُ الحزنِ العتيقِ
وفي عروقي،
شعلةُ الحرمانْ ..
فهل تأتونَ يا أهلي
لإنقاذ الذي يبقى ..
.. ولا يبقى؟
سأُكملُ ما يراهُ الدمُ منتصرًا
سأُكملُ
ـ والرَّدى تعويذةُ الأغصانْ ـ
سأُكمل دورةَ البركانْ ..



وأنت ابتداء المكرمات وختمها

يوسف ذيب الحمود
دير الزور - سورية

أسجنٌ مكانُ الأسدِ أينَ عرينُها ... وأنّى يبيتُ الليثُ وهو سجينُها
وما تنفعُ الأظفارُ أسداً بحاجةٍ ... وفي قيدها أمست فشُلّتْ يمينُها
أيا صاحبي مهلاً حَنانيك كي أرى ... أهذي هي الدُّنيا وهذا جنونُها
فماذا دهى بغدادَ حتّى تقحّمَتْ ... فأشعلها خصمٌ وأورى خؤونُها
رأيتُ جحيماً صُبَّ من فوق رأسها ... فأمست رماداً دورُها وحصونُها
فكَذَّبْتُ عيني أنَّ بغدادَ أُحرقتْ ... فأخبرني بعد الظّنون يقينُها
ونفسيَ لجّتْ بالنَّشيج وبالبُكا ... ولم يبقَ دمعٌ للبكاء يُعينُها
أبغدادُ ياخدرَ الغواني والدُّمى ... فأينَ العيونُ السودُ يُغريَ فنونها
لقد صرتِ شمطاءَ القوام من البلى ... أبعدَ اخضرارِ العود تبلى غُصونُها
وشقّتْ عليكِ الجيبَ كلُّ كريمةٍ ... وصار جَزوعاً حيُّها ودفينُها
وسالت عيونُ الدّجلتين من الدِّما ... فأضحى خضاباً ماؤُها ومعينُها
وصاحت صقورُ الطّير تبكي بزفرةٍ ... وضجَّ بأجواء السَّماء حنينُها
تئنُّ أنينَ النائحاتِ وتشتكي ... وقد خرَّ منْ عليا السماء قرينُها[1]
كأنكِ ما ناحت عليك حمائمٌ ... وما غنَّت الأطيارُ تسبي لحونُها
أبغدادُ يا أمَّ الأغانيَ والهوى ... وهل فتَّقَ الألحانَ إلا أنينُها
فما عرفَ السُّمَّارُ مثلك سامراً ... وما أسكرَ الأذواقَ إلا رنينُها
فصرنا نشاوى بالعراق ولحنِه ... تُطيحُ بنا أسْراً وسُكراً فنونُها
فكم مزَّقت ستراً وهبَّت من الثرى ... وشعَّتْ على الدُّنيا يضيءُ جبينُها
ونادت بأعلى الصوتِ إنّي أنا الرَّدى ... فما عاشَ موت في الحياة يهينُها
تسربلتِ ثوبَ المجدِ قهراً وعنوةً ... لك الأرضُ طُرّاً ظهرُها وبطونُها
فكلُّ ثيابِ المجدِ منك مُعارةٌ ... وفيكِ يُرى عزُّ الحياة وهُونُها
لكِ الرايةُ الحمراءُ ترفلُ بالرَّدَى ... فأنت شباها في الوغى ومتونُها
وأنتِ ابتداءُ المكرماتِ وختمُها ... وأصلُ المعالي الشامخاتِ ودينُها

الهوامش

١- قرينها: مجد بغداد المحلق أبداً.

نال جائزة خدمة الإسلام، وسلم الفائزين جوائز الملك فيصل العالمية

خادم الحرمين الشريفين: أهدي الجائزة إلى كل من خدموا الإسلام في صمت

تقرير: حسين حسن حسين



تسلم خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام في الاحتفال الثلاثيني بانطلاق الجائزة، الذي رعاه -حفظه الله- وذكر في كلمته بهذه المناسبة أنه كاد يبادر بالاعتذار عن تسلم جائزة أخيه الملك فيصل -رحمه الله- لخدمة الإسلام؛ لأن: «هناك من المسلمين من له من الأعمال والتضحيات ما يجعله أحق مني بهذا التكريم، ولكن بعد استخارة الله قبلت الجائزة لا اعترافاً مني بفضل شخصي، ولكن نيابة عن كل مسلم، ومسلمة ممن





خدموا الإسلام في صمت».

وأضاف: «العالم المسلم في مختبره، والجندي المدافع عن وطنه، والواعظ الذي يدعو إلى الاعتدال، والموظف النزيه، الذي يرفض الإغراءات، والقاضي العادل المنصف، والعامل الذي يعمل بيديه، ويتقن عمله. والطالب الذي يثابر على دراسته، وتحصيله، كل هؤلاء يخدمون الإسلام، وباسمهم في كل مكان من ديار المسلمين، يسرني قبول هذا التكريم، وأهديه لكم جميعًا.

أشكر الإخوة في المؤسسة على اختيارهم شخصي، سائلاً العلي القدير أن يعينني على حمل المسؤولية لما فيه خدمة ديني، ثم وطني وأهلي - شعب المملكة العربية السعودية، والمسلمين قاطبة».

ووصف صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل - أمير منطقة مكة المكرمة رئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية- خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز بـ «الملك الفائز، والقائد الشجاع، والمبادر الواثق»، ووصف صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز - ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع والطيران والمفتش العام - بأنه «الأمير الكريم، والقوي، والحليم، والعظيم». وقال سموه: «يا له من مساء يتألق فيه ملك، ويتجلى فيه علماء، وتحلق فيه جائزة، يا له من مساء تجتمع فيه العقول احتفاء بالعلم، وتقدم فيه الجهود خدمة للسلم، وترتقي فيه الأمم لمستوى القيم».

وأضاف: «يا له من مساء تمتزج فيه السياسة بالعلم، والسلطة بالحكمة، والخير بالمقصد، الإجلال لعلم السلطة وسلطة العلم، والتهنئة للجميع، والسلام».

وأوضح الدكتور عبدالله العثيمين - الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية - أن منح جائزة خدمة الإسلام لخادم الحرمين الشريفين جاء: «تقديراً لإنجازاته الجليلة، التي تمثلت داخل السعودية، في تحقيق كثير من المشروعات الرائدة العظيمة اقتصادياً، واجتماعياً، وفكرياً، وتعليمياً، وعمرانياً، وهي مشروعات تصب في مصلحة المواطنين بعامة، وذوي الدخل المحدود بخاصة». وأشار إلى أن إنجازات خادم الحرمين الشريفين على الصعيد الخارجي تمثلت في «الوقوف بحزم مع الحق بالنسبة إلى قضايا الأمة العربية والعالم الإسلامي، وبخاصة قضية فلسطين وبذل كل ما يستطاع لإصلاح ذات البين بين الأشقاء من العرب والمسلمين».

وكان خادم الحرمين الشريفين قد صافح الفائزين بالجائزة على مدى ٣٠ عامًا عقب وصوله، إذ حضر منهم عدد كبير الاحتفال، وبعد ذلك تم عرض فيلم وثائقي عن جائزة الملك فيصل العالمية، وأهدافها، وأبعادها المعرفية والإنسانية.

وعقب ذلك بدأ تسليم الجوائز، وإلقاء كلمات الفائزين.

وقد فاز بجائزة الملك فيصل العالمية للغة العربية والأدب وموضوعها «قضايا المصطلحية في اللغة العربية» البروفيسور أحمد مطلوب الناصري العراقي الجنسية، والبروفيسور محمد رشاد الحمزاوي التونسي الجنسية.

ونال الناصري الجائزة تقديراً لجهوده المتميزة في خدمة المصطلح العربي من خلال علمه الغزير، وإحاطته بالمصطلحات البلاغية والنقدية، ومعرفته الدقيقة بالنصوص الأساسية والثانوية، من ناحية خصائصها، وطريقة انتظامها، وترابط مكوناتها المصطلحية، وتقديراً لأعماله، التي تمثل إنجازًا مرجعيًا مهمًا وأصيلاً في رصد تلك المصطلحات، وتطورها التاريخي، من تنظيمها وعرضها، وفق قواعد علمية راسخة، وواضحة المعالم.

وقال البروفيسور أحمد الناصري في كلمته: «إن الاهتمام بالمصطلحات ضروري، وقد وجد المعاصرون تراثاً عربياً في هذا





العلم، فبنوا عليه ما استجد، وكانت المجامع العربية قد عُنيت به، وأصدرت معاجم مصطلحات في الآداب والعلوم والفنون، وغيرها، ولا تزال ترفد الباحثين والمترجمين بكل جديد، فضلاً عما يقوم به مكتب تنسيق التعريب في الرباط، ومعهد الدراسات المصطلحية في فاس، وبعض المؤسسات العلمية في كثير من البلدان العربية».

ونال الحمزاوي الجائزة تقديراً لجهوده العلمية المتميزة في استقراء وجوه من المصطلح العربي في القديم والحديث، مع السعي إلى تطوير نظرية لعلم المصطلح في إطار المعجمية عامة، والمصطلحية خاصة، والعمل على بلورة خطة منهجية إجرائية؛ لصياغة المصطلح في العربية. وقد عزز معرفته بالتراث وعي عميق بالمصطلحية الحديثة، وما تطرحه من قضايا وإشكالات حرص على توظيفها في خدمة العربية، من خلال المصطلح العلمي، وبذا يعد رائداً متميزًا مستمر العطاء.

وذكر البروفيسور محمد رشاد الحمزاوي أنه «لا شك في أن قضايا المصطلحية العربية المعروضة علينا هذه السنة، سواء بأقطارنا العربية الإسلامية، وفي مقدمها أرض الحرمين الشريفين، أو خارجها، تعد من أمات العلوم. فلقد نزلها العرب المسلمون في عهودهم الزاهرة منزلة العناية في جميع العلوم والفنون، خدمة لكل الأمم والشعوب، وهذا ما يشهد به تراثنا الزاخر بالمصطلحات المتنوعة، ومنها مجازات القرآن الكريم، ومصطلحات الحديث الشريف، والنحو، والمعجمية، والفلك، والرياضيات، والفلسفة والمنطق، والهندسة... إلخ، التي استفاد منها القريب والبعيد، في الماضي، وفي الحاضر».

ونال جائزة الملك فيصل العالمية للطب وموضوعها «طب الحوادث» كل من الأمريكيين البروفيسور دونالد دين ترنكي، والبروفيسور بيزل آرثر بروت.

والبروفيسور ترنكي - أستاذ الجراحة بقسم الجراحة العامة بجامعة أوريقن للصحة والعلوم - وجاء نيله للجائزة تقديراً لجهوده في إنشاء نظام فعال لعلاج المصابين في الحوادث، بمن فيهم مرضى القلب، ومن زرعت لهم أعضاء، ونشره على مستوى العالم، وقد أسهمت أعماله وبحوثه في قيام مستشفيات جراحة متحركة وهذا أدى إلى إنقاذ حياة كثير من المصابين.

وقال ترنكي في كلمته: «لهذه الجائزة أهمية كبيرة بالنسبة إلي في هذا الوقت، الذي أحاول فيه مضاعفة جهودي؛ لتحقيق المزيد من التطور في رعاية ضحايا الحوادث على مستوى العالم،

فهذه الجائزة المميزة ليست تقديراً لجهودي فحسب بل - وهذا هو الأهم - تمثل إدراكاً لما لطب الحوادث ورعاية المصابين من أهمية في البلدان النامية».

أما البروفيسور بروت فهو أستاذ الجراحة الاكلينيكي في مركز العلوم الصحية بجامعة تكساس، ومُنح الجائزة تقديراً لجهوده الرائدة في مجال جراحة الحروق الخطيرة، وعلاجها، والتعامل معها، وتناولت بحوثه خلال الخمسين عامًا الماضية جوانب شتى متعلقة بالحروق، ومشكلاتها، وأدت إلى تحسن كبير في أساليب علاجها.

وقال بروت في كلمته: «من دواعي سروري أن يُضاف ما حدث من تقدم في علاج الجروح؛ ليصبح جزءاً من إنجازات الفائزين بالجائزة. لقد تحقق ذلك التقدم نتيجة للجهود المشتركة لعدد من العلماء. وإنه ليسعدني أن يشاركني الجراحون والعلماء الآخرون ممن سعدت بالعمل معهم في مجال علاج الحروق هذا الشرف، المتمثل في تقدير لجنة الاختيار للجائزة لأعمالنا».

وحصل على جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم وموضوعها «علم الحياة.. البيولوجيا» البروفيسور رودجر فينر، وذلك تقديرًا لبحوثه التي تركزت في دراسة كيفية تحكم نملة تزن نحو واحد من مئة من الجرام، بواسطة دماغها، الذي يبلغ وزنه نحو واحد من عشرة آلاف من الجرام، في تحديد الاتجاهات، والملاحة في الصحراء. وقد فتحت بحوثه الباب أمام كثير من الباحثين في العالم؛ لاستخدام نماذج مماثلة؛ لبلورة المفاهيم المختلفة، وأساليب البحث الصحيحة، لفهم تطور الأجهزة العصبية، وطريقة عملها، وكيفية تحكمها في السلوكيات.

وقال فينر تعبيرًا عن فرحته بهذا التقدير: «غمرني إحساس مثير أوشك لساني أن ينعقد بسببه، وأنا أطالع الرسالة، التي تزفُّ خبر فوزي بجائزة الملك فيصل العالمية للعلوم لهذا العام. ولكن العجز عن الكلام ليس ما تتوقعونه مني الليلة. فاسمحوا لي قبل كل شيء - أن أعبر عن عميق إحساسي بالفخر؛ لأن ما قضيت العمر أبحث فيه، وهو دراسة الخصائص الحسية والحسابية العجيبة لحشرة مذهلة، فقد وجد كل هذا التقدير العظيم المتمثل في منحي جائزة الملك فيصل العالمية الشهيرة في العلوم».

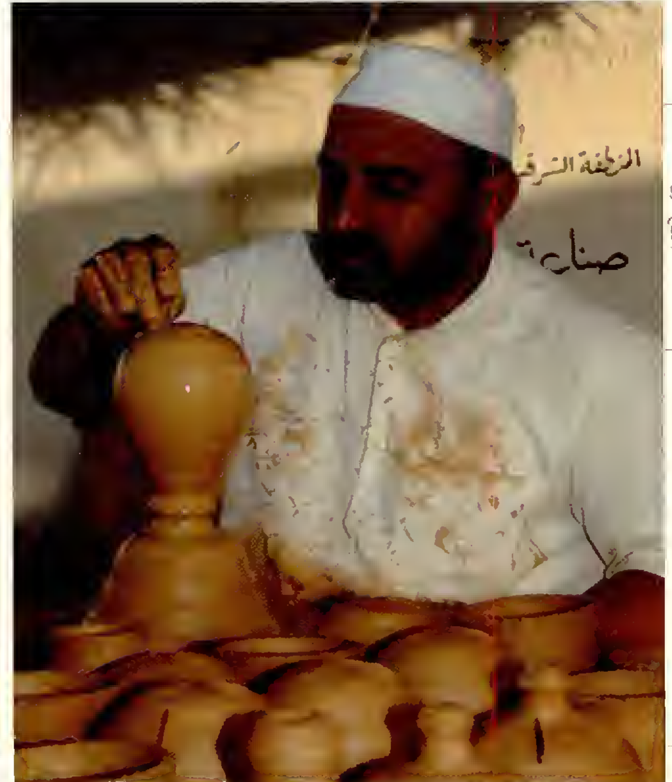
وألقت البروفيسورة كارول هيلينبراند الفائزة بجائزة الدرسات الإسلامية في عام ٢٠٠٥م كلمة نيابة عن الفائزين السابقين، فقالت: «لا شك أن الفائزين الموجودين في الرياض هذا المساء يستجمعون ذكرى ذلك اليوم، وما وجدوه من حفاوة غامرة، وما عاشوه من تجربة لا تُنسى. اسمحوا لي بالإشارة هنا إلى أمر شخصي، ولو أنه يخص أحد الفائزين السابقين، فقد كان من بين الذين فازوا معنا بالجائزة عام ٢٠٠٥م السير ريتشارد دول - الذي كان وقتها في التسعينيات من العمر -، وقد تم تكريمه تقديراً لإنجازات حياته في الطب المتعلقة بدراسة الصلة بين التدخين وسرطان الرئة. لقد كان دول يمتلئ حماساً وطموحاً، وظلَّ يعمل في مختبره حتى آخر يوم في حياته، وكانت كلمته المؤثرة عند تسلمه للجائزة مُفعمة بالمحبة للإنسانية أجمع. وعلى الرغم من تباعد دروب حياتنا، أصبح دول صديقاً لي، تعلمت منه الكثير. لقد مات بعد أشهر قليلة من لقائنا في الرياض، فلم أتمكن أبداً من تلبية دعوته لشرب كوب من الشاي معه في منزله في أكسفورد، ولكن شيئاً ما تغيَّر في حياتي، فقد زادت ثراءً بعد أن عرفته، ومن أجل ذلك، أيضاً، أشكر جائزة الملك فيصل العالمية».



فعاليات ثقافية متنوعة في جنادرية ٢٣

رعى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز المهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية) في دورته الثالثة والعشرين، التي انطلقت في ٢٧ من صفر سنة ١٤٢٩هـ واستمرت حتى ٦ ربيع الأول الجاري، وشهد حفل الافتتاح عرض أوبريت عنوان) عهد الخير(. وقد صاغه شعراً صاحب السمو الأمير الدكتور الشاعر سعد بن سعود بن محمد آل سعود (منادي)، ولحنه صالح الشهري، وقام بالتوزيع الموسيقي الموزع البحريني سيروس، وأدّاه الفنانون محمد عبده، ورابح صقر، وعبدالمجيد عبدالله، وراشد الماجد، وراشد الفارس وعباس إبراهيم.

وقد اشتمل المهرجان على(مسابقة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز لحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية للطلاب والطالبات).



وشاركت تركيا ضمن أنشطة المهرجان ضيف شرف على أنشطة المهرجان، بعد أن تم اعتماد مشاركة إحدى الدولة الصديقة ضيف شرف في كل دورة من دورات المهرجان، وتمثلت مشاركتها في عدد من الأنشطة التراثية والثقافية.

كما أقيم على هامش الجنادرية معرض الكتاب من الفعاليات الثقافية، بمشاركة عدد من القطاعات الحكومية، ودور النشر المختلفة، بالإضافة إلى أكثر من ١٠٠ دار ومكتبة خاصة .

واستقبلت لجنة الفنون التشكيلية لهذا العام عدداً كبيراً من الأعمال للفنانين التشكيليين، والفنانات التشكيليات من مختلف مناطق المملكة ومحافظاتها فاقت ١٨٠ عملاً.

ومن الفعاليات الثقافية، محاضرة مملكة السلام، وندوة تكريم معالي الشيخ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري- رحمه الله- واختياره شخصية هذا العام الثقافي، ومستقبل التعاون السعودي التركي في مجال الطاقة والمياه، والعلاقات الثقافية بين المملكة وتركيا، وأمسية شعرية «فصحى، وأخرى بالعامية، واشتمل المهرجان على عرض ١٨ مسرحية مخصصة جميعها للأطفال باسم: مهرجان الطفل المسرحي الثالث بالجنادرية، وضمت القرية الشعبية مجموعة من الحرف اليدوية، منها الزراعية، السواني، وخرازة الروي، والسقّا، والدّباسة، إلى جانب حرف أخرى، كمعصرة السمسم، والسمكري، والمحاك، والتحنيط، والتجصيص، وصناعة كسوة الكعبة المشرفة، والطحن في الرحى، وصناعة المباخر، وصناعة الحصر، والحدّاد، والحائك، والقفّاص، والخوّاص، والندّاف، ونجارة الأبواب القديمة، وحرفة الصحاف:

يعمل المهني بكل مهارة لتشكيل الآنية جاهزة للاستخدام بشكلها الأمثل، وصناعة الفخار، وصناعة الدلال (دلال القهوة)، وصناعة الأختام وكتابة الأمهار، وصناعة العصايب، والتطريز، والقلافة (صناعة السفن)، وصناعة الشباك، والصناعة التقليدية للبارود، وغيرها.

ومن فعاليات الأنشطة الثقافية النسائية محاضرات وندوات: المرأة من ذوات الاحتياجات الخاصة في المجتمع: نجاحات و إنجازات، والمرأة والمواطنة، والمرأة في الإعلام صورة واستشرافاً، والمرأة و حماية البيئة، وأمسية شعرية.

٢٥٠ ألف عنوان وفعاليات ثقافية في معرض الرياض للكتاب

اُفتتح معرض الرياض الدولي للكتاب في ٢٦ صفر سنة ١٤٢٩ هـ الموافق ٤ مارس عام ٢٠٠٨ م. واستمر مدة عشرة أيام.
وقد ضم أكثر من ٢٥٠ ألف عنوان، بمشاركة ما يزيد على ٦٠٠ دار نشر من ٣٢ دولة عربية وأجنبية، إضافة إلى مشاركة اتحادات دور النشر، وجمعيات الناشرين، ومراكز البحوث العلمية، والجامعات السعودية، ودور النشر السعودية الخاصة.
ومن عناوين الفعاليات الثقافية: تجربة الإصدار الأول، والثقافة العربية: المركز والأطراف، والوثائق التاريخية قراءة ومفاجآت، والثقافة والإنترنت: آفاق الكتاب الإلكتروني، وصناعة القارئ، وحوار مفتوح مع الناشرين: كيف تنشر كتابًا، والسرقات الفكرية، والمجلات الثقافية في العالم العربي.
وحلت اليابان ضيف الشرف لهذا المعرض، وخصص لها جناح مستقل، وبارز.



محاضرة ومعرض للصور الفوتوغرافية عن مدينة إستانبول

نظمت سفارة الجمهورية التركية بالرياض، محاضرة للمهندس المعماري محمود زين العابدين، رئيس مركز شادروان للتراث العمراني بسورية، تحت عنوان: إستانبول جسر الحضارات، وذلك مساء يوم الأحد ٩ مارس عام ٢٠٠٨م، بمبنى سفارة الجمهورية التركية بالرياض، بمناسبة صدور كتابه الجديد: إستانبول جسر الحضارات، ضمن مشاركة تركيا هذا العام ضيف شرف للمهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية)، الذي ينظمه الحرس الوطني سنوياً. وقد استهل المحاضر زين العابدين محاضرته بتقديم نبذة تاريخية من مدينة إستانبول، منتقلاً إلى التعريف بالنسيج العمراني لمدينة إستانبول من خلال نماذج مختارة، ثم استعرض عوامل التدهور التي أصابت مركز مدينة إستانبول، ومن أهمها: هدم المباني التاريخية، وحدوث الاختناقات المرورية، إضافة إلى ظهور التجمعات السكنية العشوائية. ثم استعرض عددًا من المشروعات التخطيطية والعمرانية، التي كان لها دور إيجابي في إنقاذ مركز مدينة إستانبول التاريخي، ومن أهمها: مشروع دراسة الحركة المرورية، ومشروع ترميم شارع صوغوك جاشما، وإعادة تأهيل، وإعادة تأهيل شارع الاستقلال.



اختتم المهندس زين العابدين محاضرته بتقديم مجموعة من التوصيات والمقترحات، بهدف الاستفادة من تجربة مدينة إستانبول وتطبيقها في المدن العربية التاريخية.
وفي ختام المحاضرة تم توقيع كتابه الجديد: إستانبول جسر الحضارات، وافتتح السفير التركي بالرياض ناجي كورو، معرض الصور الفوتوغرافية التي قام المهندس زين العابدين بالتقاطها لمدينة إستانبول.



الفروق الجنسية

في الإبداع

أنـــور طـاهــر رضــا

أزمير - تركيا

نشر في العدد ٢٧٠ من مجلة الفيصل الغراء مقال للكاتبة حياة قائد بعنوان «إبداع المرأة وعوائق الأيديولوجيا». والمقال يتناول الموضوع بكثير من الدقة، ويضفي على كثير من جوانبه الشرح والتعليل. وهذا الموضوع ليس بجديد، فقد تناوله آخرون في كتب علم النفس من تلك التي تتناول الفروق الجنسية في موضوع الإبداع والابتكار. وهو ما فعلته الكاتبة، وربما أضافت عليه شيئاً من ذلك التفسير الذي يخص ثقافتنا الإسلامية. وجدت أن هذا المقال يحتاج إلى بعض الشرح والتوضيح والإضافات في بعض أجزائه، ففعلت ذلك لكي تعم الفائدة، وتوضيحاً للفكر تم تناول الموضوع تحت عناوين فرعية شتى، وأحاول جاهداً ربطها بالأفكار التي وردت في المقال من أمثال: التعاريف، والأيديولوجيا أم الثقافة، والمبدعون والشذوذ، والذكاء والإبداع، والفروق الجنسية في الإبداع، والتعليل العلمي، والثقافة الإسلامية والعلماء المسلمون الأوائل، وعوائق الإبداع، وذكورة المبدعات، والتمييز الجنسي العالمي، وعائلة كوري والكفاح المضني، وخاتمة المطاف.



التعاريف

التعاريف مهمة جداً في كل كتابة، سواء كانت علمية أو أدبية أو غير ذلك، ويكون من الأفضل البداية بها بعد المقدمة مباشرة، وربط كل ما يقال بشكل مباشر أو غير مباشر بتلك التعاريف، التي ترد في المقال. ويفضل إعطاء تعاريف أخرى لكتاب آخرين إن وجدت، على أنه من الألزم إيراد التعاريف الخاصة بالكاتب، وبمضمون التعاريف يحاسب الكاتب إيجاباً أو سلباً. أضف إلى ذلك أن التعاريف بحد ذاتها ميدان خصب للابتكار والإبداع، يعكس بشكل أو بآخر فردية الكاتب الفريدة. على أن تربيتنا المدرسية الحالية لا تولي هذا الموضوع الكفاية من الاهتمام، فيشيب الكاتب من دون إعطائه الأهمية اللازمة مع أنه جزء مهم من توضيح الفكر وبيان المقصود.



وهذه النقيصة يؤخذ عليها كثير من الكتاب، ومنهم من حصل على الشهرة في ثقافتنا. وأنا ممن أدعو إلى البداية بمثل هذه التربية منذ السنوات الأولى من المرحلة الابتدائية.

عنوان المقال الأساسي كما يظهر يخص الإبداع وعوائق الأيديولوجيا. وخصص من الإبداع إبداع المرأة. وهذا جميل، إلا أن الكاتبة لم تتطرق إلى تعريف واضح أو مخفي، لا للعوائق أو للأيديولوجيا. أما الإبداع فقد أشير إلى تعريفه ضمنياً. وكم كنت أود أن أجد تعاريف واضحة لهذه المصطلحات في غضون المقال. إن المقال تضمن الإشارة إلى أن الإبداع يتطلب الأصالة، والمرونة، والطلاقة، والنظر إلى الأمور من زوايا مختلفة. على أن ذلك لم يف بالمطلوب. ونتيجة لذلك فقد حصل فيما يخص الإبداع خلط بين الإبداع والابتكار وحب الاستطلاع، وفيما يخص الأيديولوجيا بالثقافة تارة وبالعقل تارة أخرى. لقد عرضت الكاتبة في مجال مقارنتها الإبداع بالذكاء معرّفة أن الذكاء هو القدرة على التفكير والتكيف العقلي مع البيئة، أما الإبداع فهو القدرة على التفكير بتميز وتفرد. فالسؤال الذي يطرح نفسه فيما يخص الجزء الأول: هل يقتصر الإبداع على التفكير؟ أم أنه يتضمن مع التفكير الإنتاج المادي؟ ولهذا السبب نلجأ إلى تعاريف واضحة للمصطلحات التي وردت في المقال.

«الإبداع هو وضع شيء متناسق الأجزاء جميل الشكل حيّز الوجود، نتيجة تقليد أو تطوير أو أصالة بالغة». والمقصود بالشيء هنا أي شيء سواء كان فكرة، أو قصيدة، أو قصة، أو كتاباً، أو رسماً، أو لحناً، أو غناء، أو أثاثاً، أو آلة، أو جهازاً، أو بناء، أو ما إلى ذلك. يتضمن الإبداع الإجادة في عمل شيء ما إجادة بالغة بإتقانه إتقاناً تاماً. فالجودة شرط ضروري من شروط الإبداع. ويظهر الإبداع نتيجة اكتساب مهارات معينة، وإتقان أعمال خاصة، وأدائها بشكل يختلف عن أداء الأفراد الآخرين الاعتياديين. فالشخص يبدع عندما يأتي بقول جميل، أو فعل لطيف، أو يضع فكراً، جديداً، أو ينتج شيئاً مفيداً ذا قيمة وشأن. ومن أسماء لفظ الجلالة البديع، فهو بديع السموات والأرض. ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ البقرة: ١١٧ ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الأنعام: ١٠١.



أسباب كثيرة تحد من إبداع المرأة





فالسماوات والأرض ليست فكرة، بل أشياء مادية محسوسة وملموسة. ويظهر الإبداع في صنع الله الذي أتقن كل شيء على أحسن وجه، وأكمل صورة ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ النمل: ٨٨. لقد خلق الله الإنسان في أتم صورة، وأحسن شكل ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ التين: ٤. وبالمثل فإن الجبال والإنسان اللذين وردا في الآيتين السابقتين ليسا أفكاراً، بل أشياء مادية نراها في كل آن وحين بعيوننا المجردة. ويأمرنا ديننا الحنيف بالإتقان في العمل أو إتمامه على أحسن وجه والمؤمن إذا عمل عملاً أتقنه، والعمل هو الآخر يكون سبباً لإنتاج أشياء مادية ترى بالعين.

ومن هذا المنطلق فقد يكون الأمر المبدع مادياً ومعنوياً، وقد يكون صنعاً قديماً، ولكنه يتضمن الإتقان والمهارة البالغة في الصنع، فيجلب أنظار الآخرين. وقد يكون هذا العمل ضمن دائرة القوالب المألوفة، ومع ذلك فهو أمر مبدع. ولا يتطلب الإبداع طرح بدائل مختلفة لمشكلة معروضة كما هو الحال في الابتكار. فالبديل الواحد قد يكفي لوضع هذا العمل في صنف الأعمال المبدعة.

يمكن تعريف عوائق الإبداع بأنها: «جميع العوامل، المنفردة أو المجتمعة، التي من شأنها أن تقف حجر عثرة أمام الإبداع، وتبطئ أو تعرقل أو تمنع ظهوره، أو تؤدي إلى إساءة في استعماله، أو تحدّ من نموه وتطويره، أو تمنع سيره الطبيعي».

توجد هناك عدة عوامل تكون سبباً في عرقلة الإبداع. تكون هذه العوامل بشكل عام مترابطة بعضها ببعض ترابطاً تفاعلياً عضوياً أو وظيفياً. ومن الصعوبة بمكان فصل بعضها عن بعضها الآخر. تمثل معوقات الإبداع جميع الصعوبات التي تواجه الفرد في إبراز طاقته الإبداعية. وتشبه هذه الصعوبات بالأشواك أو الأحجار المبعثرة في أماكن مختلفة من الطريق بقصد أو بدون قصد، التي يتعثر بها الفرد بين فترة وأخرى، بحيث تعرقل سيره أو تمنع وصوله إلى الهدف

الجودة شرط ضروري من شروط الإبداع. ويظهر الإبداع نتيجة اكتساب مهارات معينة، وإتقان أعمال خاصة

«الإبداع هو وضع شيء متناسق الأجزاء جميل الشكل حيّز الوجود، نتيجة تقليد أو تطوير أو أصالة بالغة»

كما ينبغي أن يصل. ويمكن تشبيهها أيضاً بتلك المرتفعات التي تبنى في الطريق، والتي يستهدف منها الحدّ من سرعة السيارات، ومنع سيرها بسرعتها الاعتيادية. وتترك هذه العوائق آثارها في الإبداع تحت ثلاثة أشكال رئيسية: فهي إما أن تبطئ السير أو تحدده، أو تسيء استخدام الإبداع، أو تمنعه من الظهور بشكل أو بآخر. وفي كل هذه الحالات تكون الآثار في الإبداع كما يبدو سلبية. ينمو الإبداع ويتطور بالتربية السليمة، والتوجيه الصحيح، واكتساب الخبرات الراسخة، والمهارات اللازمة، والتشجيع المستمر. أما إذا ترك الأمر وشأنه من دون أي نوع من الاستثمار، أو كان هناك تدخل سلبي فقد مال إلى الضعف، وزال بمرور الأيام.

الأيديولوجيا كما عرفها البعلبكي (١٩٩٠م، ١٦٨) في موسوعة المورد العربية هي كما يأتي: «كل مجموعة نظامية من المفاهيم في موضوع الحياة أو الثقافة البشرية، طريقة التفكير (أو محتوى التفكير) المميز لفرد أو جماعة أو ثقافة، ومجموع النظريات والأهداف المتكاملة التي تشكل قوام برنامج سياسي اجتماعي»[١].

الأيديولوجيا هي فلسفة الحياة لفرد أو جماعة أو مجتمع. وهي طريقة التفكير التي ينظر بها الناس إلى الأمور، أو الزاوية التي يطل منها الإنسان نحو العالم، والتي تشكل وجهات نظره الخاصة المتميزة. وعلى الرغم من أن للأفراد والجماعات أيديولوجيات، إلا أن الأيديولوجيات تستخدم كثيراً للدول والأنظمة السياسية. ومن هذا المنطلق فإن هناك أيديولوجية رأسمالية، وأخرى اشتراكية، وثالثة إسلامية. وهذه الأيديولوجيات تكيف تبعاً لظروف البلد. ومن هنا فإن هذه الأيديولوجيات على الرغم من اشتراكها في الخطوط الأساسية إلا أنها تختلف في التفاصيل.

الأيديولوجيا أم الثقافة ؟

وقبل أن نقرر أيهما أنسب في الاستخدام في هذا المقال

بالذات: الأيديولوجيا أم الثقافة يكون من المفيد التعرض إلى بعض تعاريف الثقافة:

يعرّف ثومبسون وجماعته الثقافة بأنها: «مميزات أو خصائص جماعة، تتضمن القيم والمعتقدات ومعايير السلوك التي تخلّف في عضوية جماعة خاصة، وتساعد على تمييز هذه الجماعة من جماعة أخرى»[٢].

ومن جانب آخر يعرّف آرندس هذا المصطلح بأنه: «وصف الطريقة الكلية لحياة جماعة- تأريخها واتجاهاتها وقيمها. الثقافة هي الكيفية التي يفكّر بها أعضاء جماعة ما، والطريقة التي يحلّون بها مشكلاتهم في الحياة الجماعية. الثقافة تُتَعلَّم، وليست ثابتة، وتتغير بشكل مستمر. الثقافات لا تمثل الجماعات، وإنما هي ما أوجدت من قبل الجماعات»[٣].

وينقل أكن وكوجاك Eggen and Kauchak ٢٠٠٤م، ١٢٢، تعريف بانك Bank، ١٩٩٧م، للثقافة بأنها: «اتجاهات، وقيم، وعادات، وأنماط السلوك، التي تميّز جماعة اجتماعية»[٤].

وانطلاقاً مما سبق عرضه يمكن تعريف الثقافة تعريفاً عاماً شاملاً بأنها عبارة عن: «منظومة الأنظمة المعقدة والمتشابكة التي تتضمن: اللغات، والمعتقدات، والمعارف، والفنون، والتعليمات، والقوانين، والدساتير، والمعايير الخلقية، والقيم والأعراف والعادات، والتقاليد الاجتماعية، والمهارات التي يمتلكها أفراد جماعة معينة». تخدم الثقافة تعاون أفراد المجتمع وتماسكهم فيما بينهم، وتميزهم عن الجماعات الأخرى. تنتقل الثقافة من جيل إلى جيل آخر عن طريق التربية والتعليم والتنشئة الاجتماعية. تزوّد الثقافة الفرد بأشكال السلوك المختلفة التي يتطلب منه أن يؤديه في الحياة الاعتيادية، كالاهتمام بالمسكن والملبس والأكل والانتقال، وما ينبغي له أن يسلك في مناسبات اجتماعية مختلفة من أمثال: الولادة، والوفاة، والزواج، وما إلى ذلك. لعلّ أبرز جانبي الثقافة هما اللغة والدين اللذان يعدهما الفرد جزءاً من كيانه، ويدافع عنهما كما يدافع عن الجوانب الأخرى من ثقافته.

وهكذا يبدو من تعريف الثقافة أن الكاتبة لو استخدمت مصطلح الثقافة بدلاً من مصطلح الأيديولوجية لكانت أكثر توفيقاً. ولو فعلنا ذلك الآن بتعويض الأخير بدلاً من الأول لما حصل أي إرباك في المقال. والسبب الذي يدعو إلى ذلك أن الأيديولوجيات تعكس وجهات النظر السياسية أكثر مما تعكس وجهات النظر الاجتماعية، كما هو الحال في الثقافة. ويهمنا في هذا المقام الجوانب الاجتماعية أكثر مما تهمنا الجوانب السياسية. والكاتبة نفسها تطرقت إلى العادات والتقاليد والأعراف والقيم التي تعد، كما سبقت الإشارة إليها في التعاريف، من مضامين الثقافة. أضف إلى ذلك أن الأيديولوجيات قد تفرض على المجتمعات بثورات أو انقلابات. وبذلك فقد يتقبلها الأفراد والجماعات في الظاهر على مضض خوفاً أو طمعاً. ولذلك فإن سريان مفعولها يكون بطيئاً جداً. أما الثقافة فإن الإنسان يتشربها عن طريق التنشئة الاجتماعية بالتأني في فترة يكون فيها أهلاً للتقبل الشعوري أو اللاشعوري. وبذلك تصبح الثقافة جزءاً من شخصية الفرد وكيانه المتميز. وتؤدي الدور الإيجابي أو السلبي في الإبداع بشكل عام، وإبداع المرأة بشكل خاص.

المبدعون والشذوذ

في بداية المقال عبرت الكاتبة عن رأيها في أن المرأة المبدعة تقابل - غالباً - كحالة شاذة غير مقبولة، ومخالفة للطبيعة الأنثوية؛ ذلك لأن المطلوب منها تمثيل الدور السلبي الذي ينزع إلى المجاراة، والارتباط، والانقياد، ورعاية الآخرين، وعدم كسر النمط. لقد تناولنا هذا الموضوع في تعقيب على «المبدعون وسوء التوافق النفسي»[٥].

وواقع الحال أن المبدعين، ذكوراً وإناثاً، يعدون حالات شاذة؛ لأنهم يخرجون عمّا هو مألوف، ويكسرون القوالب التي حددت من قبل المجتمع. فالمطلوب من الأفراد أن يسايروا عادات المجتمع وتقاليده وأعرافه وقيمه. ويكونوا بذلك متكيفين معها. أما المبدعون فإنهم يسعون إلى تغيير ذلك لكي يوائم ما يفكرون به. لذلك فإنهم يكونون تحت المجهر مرتين، وعلى بساط البحث دائماً وأبداً. وقد يكون حسد

الفرد الذكي الذي لم يتعلم مهارات التفكير الابتكاري لا يستطيع أن يكون مبتكراً بقدر من هو أقل ذكاء منه

ارتقاء هؤلاء الأفراد في ميادينهم سبباً لعمل كثيرين من أفراد المجتمع للنيل منهم، فيحاربون بشتى الوسائل. وهكذا يمكن القول: إن المبدعين محاربون من قبل الآخرين من دون هوادة، ومن دون تمييز جنسي.

الذكاء والإبداع

تناولت الكاتبة في المقال مفهوم الذكاء، وميزته من الإبداع. وذكرت عدة آراء، بعضها صحيح، وبعضها الآخر قد فقد صحته اليوم. ويبدو لي من إلقاء النظر إلى المراجع أن ذلك حصل لاعتمادها على بعض المصادر القديمة.

لقد عرّفت الذكاء بأنه القدرة على التفكير والتكيف مع البيئة، وميّزته من الإبداع بأنه القدرة على التفكير بتميز وتفرد. وذكرت أن الدراسات والبحوث تشير إلى أن الذكاء شرط ضروري من شروط الإبداع مع أنه ليس الشرط الوحيد في ذلك، وأن أغلبية الأذكياء كانوا مبدعين في طفولتهم إلا أن العوائق المتتالية قتلت الإبداع لديهم تدريجياً. أشارت الكاتبة إلى قدرات من أمثال الأصالة، والابتكار، والتجديد، والإعراض من المألوف، والمرونة، واكتشاف العلاقات، والطلاقة.

وواقع الأمر أن الفكرة السائدة اليوم هي: أن كل شخص، ومن دون استثناء، بمن فيهم المتخلفون عقلياً، يمكن أن يكونوا مبدعين، لو حصلوا على التربية الخاصة بالإبداع، وخصصوا وقتاً كافياً لما هم فيه. ومن المؤيدين لهذه الفكرة دي بونو، وهول وويكر، وأبستين. يؤكد الأول دي بونو[٦]. تعلم مهارات التفكير الابتكاري بشكل مستقل ومباشر. ويرى أن الفرد الذكي الذي لم يتعلم مهارات التفكير الابتكاري لا يستطيع أن يكون مبتكراً بقدر من هو أقل ذكاء منه، وقد تعلم هذه المهارات. فالابتكارات تعتمد على التربية والعادات والتوقعات، أكثر مما تعتمد على العوامل الوراثية.

المبدعون حالات شاذة؛ لأنهم يخرجون عن المألوف، ويكسرون القوالب، ويسعون إلى التفكير

ويفهم من عنوان كتاب هول وويكر[٧] من جانب آخر إمكانية رفع القوة الابتكارية إلى خمسة أضعافها عن طريق التدريب والمران. ويؤكد أبستين [٨]. بناء على خبراته الشخصية المبنية على التجريب في المختبر لمدة عشرين سنة، أن التحليل العلمي الدقيق قد أظهر أن المهارات الصحيحة في الابتكار تستطيع أن ترفع الابتكار لدى الفرد إلى عشرة أضعافه. ويستطيع كل فرد، ومن دون استثناء، أن يكون مبتكراً إلى درجة مميزة. وتفجير طاقة الأفراد الابتكارية سهل كسهولة ركوب دراجة واقفة.

وهكذا يكون اشتراط الذكاء في حالة الإبداع غير صحيح. وبدلاً من ذلك يضع العاملون الدافع شرطاً للإبداع، وهو أهم بكثير من الذكاء، حتى إنهم يربطون الدافع بالإبداع كربط البيضة بالدجاجة؛ وهذا يعني أن الدافع يولّد الإبداع، ويولّد الإبداع الدافع. وعن أسبقية أحدهما على الآخر يرى الباحثون أن شيئاً من الدافع في البداية ضروري لكي تكتمل الحلقة الدائرية. ويشبه دي بونو [٩] الذكاء بقوة السيارة الحصانية، فهي وحدها لا تكفي، ما لم تكن هناك قيادة ماهرة من سائق. وقيادة السائق الماهرة تقابل التربية الابتكارية. وحسب ما يراه هذا الكاتب فإن معظم المبتكرين والمبدعين يحققون ابتكاراتهم وإبداعاتهم بدافعية عالية؛ ذلك لأن هؤلاء المبتكرين والمبدعين يبذلون قصارى جهودهم، ولمدة طويلة جداً، وبعمل شاق مضن؛ من أجل تحقيق ما هو أحسن وأفضل. يبحث المبتكرون عن بدائل أخرى عندما يقتنع الآخرون بما هو موجود. ويصرفون جهوداً جبارة من أجل حلّ المشكلات التي يخلقونها بأنفسهم. يعملون دائماً بحب ورغبة وشوق زائد؛ من أجل التوضيح والتعليل، ويجرون التجارب المتلاحقة، وينتجون أفكاراً جديدة.

ومن جانب آخر فقد ظهرت العلاقة بين الذكاء والابتكار في البحوث الأولى التي أجريت في هذا الميدان. ولقد أشار كرونباخ Cronbach[١٠] إلى أنه لا يوجد هناك مبتكرون بين من يحصلون على درجات عالية في اختبارات الذكاء، ويتفوقون في الدراسة. إذا كانت هذه الفكرة صحيحة فإن تعليلاً بأن المدارس تحشو أذهان الطلبة بالمعلومات أكثر من اهتمامها بتفكيرهم الحرّ المبتكر يكون في محله. ولهذا السبب فقد أخفق دهاة من أمثال جيمس واط، وأنشتاين، وتوماس أديسون، وغيرهم في تعليمهم المدرسي. يمكن





المرأة اقتحمت جميع المجالات

الحصول على علاقات إيجابية بين درجات اختبارات الابتكار، واختبارات الذكاء الكلاسيكية، وإلى حد نسبة الذكاء ١٢٠ درجة. غير أنه قد يعثر على غير المبتكرين بين الذين يحصلون على درجات أعلى من ١٢٠ في اختبارات الذكاء. يشير كرونباخ Cronbach; إلى أن العلاقة تبدو بحدود ٠.٥٠ بين هذه الاختبارات في المرحلة الابتدائية. أما في مرحلة المراهقة فإن هذه العلاقة ترتفع أكثر.

يعبّر كل من إنجل وسنيلكروف[١١] عن العلاقة بين الذكاء والابتكار بالاشارة إلى وجود علاقة إيجابية بينهما. قد يحصل بعض المبتكرين على درجات عالية في اختبارات الذكاء. على أن الذين يملكون قدرات ذهنية عالية لا يكونون مبتكرين دائماً. في واقع الحال توجد هناك علاقة طفيفة بين من يحصلون على نسب الذكاء العالية والابتكار. تؤثر العوامل الدافعية والشخصية في العلاقة مع الابتكار أكثر من تأثير الذكاء العالي. ومع ذلك فإن نسبة معينة من الذكاء ضرورية؛ ذلك لأن أعداد المبتكرين بين المتخلفين عقلياً محدودة. يؤيد كون[١٢] مثل هذه الآراء. ويشير دي بونو DeBono 1993,41؛ إلى أبحاث جيزل وجاكسون Getzel and Jackson في هذا الخصوص. أن العلاقة بين الذكاء والابتكار طردية وإلى حد ١٢٠ درجة في اختبارات الذكاء. ومن جانب آخر فإن دي بونو[١٣] يشكّ في اختبارات الذكاء والابتكار، التي استخدمت في هذا البحث؛ لأنها عكست توقعات الأشخاص الذين استخدموا مثل هذه الاختبارات.

ومن جانب آخر، فيما يخص تعريف الذكاء، فما ورد هنا هو تعريف واحد قديم كان ينظر إلى الذكاء كقدرة عامة من أيام سبيرمن. وهناك تعاريف كثيرة جديدة تختلف عنه اختلافاً جوهرياً. نتطرق إلى بعض منها في هذا المجال.

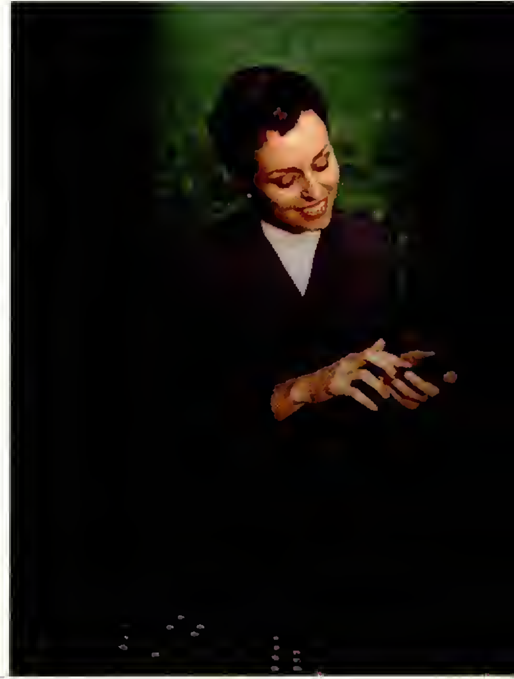
يرى دسي وتريفرس[١٤] فيما يخص وجهات النظر الجديدة في الذكاء، أن الذكاء - ولاشك - يتضمن عدداً من القدرات العقلية الإدراكية كالذاكرة، واللغة، والتعليل، إضافة إلى قدرة التعامل مع الأعداد. كما أن كل واحدة من هذه القدرات إنما تتضمن قدرات خاصة أخرى فرعية. إن التعاريف المختلفة للذكاء ساقت الباحثين إلى استخدام قياسات مختلفة للذكاء. إن كثيراً من الاختبارات التي تقيس الذكاء العام إنما تقيس عدداً قليلاً من القدرات الإدراكية. لقد أهمل الذكاء العام اليوم كثيراً كمفهوم علمي وموضوع للدراسة. إن الدراسات اليوم تهتم بالقدرات الخاصة الإدراكية المستقلة.

لقد أضاف هورن اليوم قدرات أخرى إلى المفهوم، سماها الذكاء المرن fluid intelligence والذكاء المتبلور crystallized intelligence. ويتضمن ذلك الذاكرة قصيرة المدى والذاكرة طويلة المدى وإجراء العمليات البصرية، إضافة إلى إجراء

العمليات السمعية.

هذا وقد أشار سانتروك[١٥] إلى رأي ستيرنبرك، الذي يرى أن وجهات النظر التقليدية في الذكاء إنما تقيس الذكاء المتبلور. ويعتقد من هذا المنطلق أننا نفكر في الذكاء كقياس للتحصيل. ويتطور ذكاء الفرد بتقدم العمر. ويرى ستيرنبرك أن الذكاء الناجح إنما يتضمن ثلاثة محتويات، هي كما يأتي: محتويات تحليلية (حل المشكلات)، ومحتويات ابتكارية (تحديد مشكلات للحلّ)، ومحتويات عملية تطبيقية (تدبير الحلول الفعالة).

لماذا تقترب المرأة المبدعة من الرجل؟



ويقترح أن الذكاء، وإلى درجة كبيرة، ليس موضوع كمية، وبدلاً من ذلك فهو نوع من التوازن، ومعرفة كيفية استخدام محتويات الذكاء التحليلي والابتكاري والتطبيقي وزمنه. وفي سنوات الرشد المتوسطة تصل هذه القدرة إلى الذروة. ويفهم أكثر الناس أنفسهم في هذه المرحلة فهماً أفضل، ويستطيعون التركيز في جوانب القوة لديهم، ويعملون على تلافي جوانب الضعف لديهم. وكما يبدو من العرض السابق أن الإبداع نوع من الذكاء. ولا نستطيع من هذا المنطلق أن نقول إن الذكاء يختلف عن الإبداع، فالعلاقة حسب هذا التعريف هي علاقة الجزء بالكلّ.

ولقد وجه هوارد كاردنر انتقادات مهمة إلى الذكاء العام في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي. وأهم هذه الانتقادات: أن الذكاء العام لا يقيس جميع جوانب طاقة الإنسان العقلية. ونتيجة لذلك صاغ كاردنر نظرية الذكاء المتعدد. وبموجب هذه النظرية فقد وضع كاردنر تسعة أنواع من الذكاء بدلا من الذكاء العام. تثار هذه الأنواع من الذكاء بطرائق مختلفة، ويعبر عنها بأشكال متباينة تختلف من شخص إلى آخر. هذه الأنواع من الذكاء هي كما يأتي:

١. الذكاء اللفظي - اللغوي.
٢. الذكاء المنطقي - الرياضي.
٣. الذكاء الموسيقي - الإيقاعي.
٤. الذكاء البدني - الحركي.
٥. الذكاء البصري - المكاني.
٦. ذكاء العلاقات بين الأشخاص.
٧. الذكاء الداخلي في الشخص.
٨. الذكاء الطبيعي.
٩. الذكاء الوجودي، النوع الأخير لا يزال قيد الدراسة.

وترك كاردنر الباب مفتوحاً على أنواع أخرى من الذكاء التي قد تظهر في المستقبل. وقد تظهر نتيجة لذلك أنواع أخرى من الذكاء غير الأنواع التسعة التي ذكرها كاردنر. ويشمل استغلال الذكاء أنواع الذكاء الموجود لدى الأفراد المختلفين، وينسحب أيضاً على أنواع الذكاء الموجود في الشخص الواحد. إن التنويع في البرامج التي تتبنى على أنواع الذكاء المختلفة، إضافة إلى الكيفية التي تقدم فيها هذه البرامج وسيلة فعالة لهذه الأنواع من الذكاء.

الفروق الجنسية في الإبداع

من خلال التدقيق في صفحات التأريخ نجد أن نسبة الإناث من الفلاسفة، والعلماء، والمخترعين، والشعراء، والكتاب، والمفكرين، والفنانين، من اللاتي حصلن على شهرة عالمية مقارنة بالذكور

واطئة جداً. وقد يكون سبب ذلك التمييز بين الذكور والإناث والموقع الاجتماعي الواطئ الذي تعطيه المجتمعات للمرأة. ومن ناحية أخرى، فإن للنساء مسؤوليات كبيرة من أمثال الحمل والأمومة وتربية الأطفال ومراعاة الزوج. هذه العوامل جميعاً أشارت إليها الكاتبة. تحدد هذه المسؤوليات - ولاشك - أنشطة النساء إلى درجة كبيرة. وعندما يقال: إن وراء كل عظيم امرأة. يقصد بذلك أن النساء يتولين مهمة دعم أزواجهن بدلاً من البحث عن الشهرة لأنفسهن. وتتضمن مسؤوليات الأمومة ودعم الزوج كثيراً من التضحيات. وأنوثة المرأة مملوءة بالتضحيات. ولهذا السبب فقد وضع الدين الإسلامي الجنة تحت أقدام الأمهات.

إن وجود الفروق الجنسية بين الذكور والإناث فيما يتعلق بالإبداع أمر طبيعي، ويساير المنطق. على أن نتائج بعض البحوث جاءت لمصلحة الإناث. لقد سجلت البحوث التي أجريت في ميدان القدرات الخاصة لمصلحة الإناث في اللغة، ولمصلحة الذكور في الرياضيات. ولما كانت اللغة تؤدي دوراً مهماً في اختبارات الابتكار، فإن النتائج تكون مقبولة إذا جاءت لمصلحة الإناث. ويرجع بروز عدد كبير من النساء في الشعر والأدب، وخصوصاً في كتابة القصص البوليسية إلى هذه الظاهرة.

بحث جونن وأصحابه[١٦] تأثر الابتكار بالعمر والجنس لدى ٦٠ طفلاً تم اختيارهم بطريقة عشوائية من الذكور والإناث البالغين من عمر ٥ إلى ٦ سنوات ممن يداومون في رياض الأطفال. لم يجد الباحثون فروقاً ذات دلالة إحصائية بين درجات ابتكار الذكور والإناث.

طلب تورانس[١٧] في عام ١٩٩٢م و١٩٩٣م أطفالاً من ١٢ بلداً كتابة مادة إنشائية عن مستقبل حياتهم. لقد تفحّص في المادة الكتابية عن تفكير الأطفال عن اختراعهم لشيء معين في مستقبل حياتهم. لم يجد شيئاً من ذلك بين الإناث في كل العينة تقريباً. كانت العينة من أطفال الدول المتقدمة ولم يكن بينهم أحد من ثقافتنا الإسلامية.

يدافع تورانس عن فكرة مضمونها أن الإناث، ومجموعة الأقليات تتفوق إذا ما أعطيت الفرص المناسبة. يشير تورانس في هذا الخصوص إلى دراسة ماري هاول. التي أجريت في مدارس هارفارد الطبية، وإلى نتائجها التي تجلب النظر فعلاً. تؤكد الباحثة في هذه الدراسة أنه كلما زادت أعداد الأعضاء من النساء والأقليات زادت الاختراعات والتجديدات. لقد تحدّى هؤلاء كثيراً من الخرافات وطبقوا أشياء جديدة في هذا المجال.

التعليل العلمي

والكاتبة تحمل الأيديولوجيا الإسلامية تبعة التأخر في إنجاب النساء المبدعات. ومع ذلك فقد أنصفت جزئياً عندما أولت ذلك لجهل الناس الدين الإسلامي الحنيف، والتفسيرات الخاطئة. وتقول في هذا المجال: إنه مما زاد الأمر سوءاً في المجتمعات العربية دمج أيديولوجيات وعادات البيئة بالنصوص الدينية، واستخلاص تفسيرات هجينة خاطئة تخدم العقل الجمعي، بحيث أضحى كل نشاط تقوم به المرأة خارج دورها الاجتماعي بوصفها زوجة أو أماً محرماً.

وحقيقة الأمر أن التمييز بين البنين والبنات موجود في كل المجتمعات. لقد كان ذلك موجوداً في السابق، ولا يزال اليوم موجوداً مع هذا التطور الكبير. ولقد محا الإسلام التمييز بين البنين والبنات فيما يخص التعليم بشكل خاص، وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة من المهد إلى اللحد. ولو كان في الصين. وتجدر الإشارة إلى أن أول أمر رباني هو «اقرأ» من دون التمييز بين الذكر والأنثى. أشار القرآن الكريم إلى التمييز الجاهلي السابق كما يأتي: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ. وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ النحل: ٥٧ - ٥٩ .

ومع أن هذه الآيات تعكس ظاهرة وأد البنات في العصر الجاهلي، ومع عدم الوقوع في خطأ التعميم، فإن الملاحظات التي نشاهدها هنا وهناك، تكشف لنا أن سواد الوجه والغيظ الذي

الأيديولوجيا هي فلسفة الحياة لفرد أو جماعة أو مجتمع، وهي طريقة التفكير التي ينظر بها الناس إلى الأمور





الالتزامات الاجتماعية من معوقات إبداع المرأة

يكظم أو يكشف، ومع الإيمان بخطأ ذلك، لايزال موجوداً لدى كثير من العوائل حتى في العصر الذي نعيشه. إذا ما وضعنا إهمال تعليم المرأة جانباً فإنه لايزال بعضهم يلجأ إلى عقاب المرأة التي تنجب الأنثى بطريقة أو بأخرى، مع أنها ليست مسؤولة عن ذلك. وقد يذهبون إلى أبعد من ذلك بالزواج من امرأة أخرى، أو يجر الأمر إلى الطلاق. ولعل الأوضاع في الصين تكشف عن وجود هذه الظاهرة في غير الأوساط التي نعيشها، ولكن بشكل آخر، مع أن الصين ليس بلداً عربياً أو إسلامياً.

عندما كانت بنتي في أول أيام حملها كانت هي وزوجها يدعوان الله إنجاب مولود ذكر. وعندما سألتهما عن السبب أجاب الزوج أن الذكر يخلف ذكراً، وأجابت بنتي أن تربية البنت في مثل هذه الظروف صعبة جداً. ألا يعد ذلك نوعاً من التمييز ضد الأنثى حتى ما قبل الولادة؟

أشارت الكاتبة إلى دراسة بريطانية عللت أن تأخر البنات إبداعياً مع تفوقهن الدراسي قد يكون خياراً لا واعياً من قبل البنات أنفسهن؛ لنشأتهن أقل ثقة بأنفسهن، وأكثر تعرضاً لليأس. ومع قبول هذا التعليل لا ننسى أن دافع الأمومة قوي جداً لدى البنات، ويؤثر في كثير من البنات ممن هن في العشرينات من العمر، ويدفعهن إلى طلب الزواج خشية فوت قطاره، والتعرض للعنوسة وعدم الإنجاب. وقد يتم ذلك بسبب إجبار البنات على الزواج في عمر مبكر بسبب العادات والتقاليد في بعض الأوساط على الأقل. هذه المخاوف غير واردة في حالة الذكور، أو أقل مما هو لدى البنات بكثير؛ ذلك لأن الذكور يستطيعون الإنجاب في أية فترة عمرية. ومما يؤيد هذا الرأي أن متوسط العمر الذي تتزوج به الإناث أوطأ من متوسط ما يتزوج به الذكور. وعلى سبيل المثال فقد ظهر في دراسة مسحية سورية أن متوسط عمر زواج الذكور هو ٢٤ سنة، اما متوسط زواج البنات فهو ٢٠ سنة. هذا الزواج المبكر لدى الإناث يعرضهن إلى المسؤوليات التي سبقت الإشارة إليها من حمل وإنجاب وتربية أطفال، أضف إلى ذلك أن الذكور معفون من هذه المشكلات لطبيعة تركيبهم البايولوجي.

الثقافة الإسلامية والعلماء المسلمون الأوائل

لقد أنجبت الثقافة الإسلامية من العلماء ممن كانوا يعيشون في ظروف صعبة جداً. نختار بعضهم - على سبيل المثال لا الحصر - مع الإشارة إلى إنجازاتهم العظيمة:

أول من أنشأ معملاً للورق هو ابن الفاضل، وأول من كشف مرض الجدري، والحصبة، وجاذبية الأرض وحصل على الكحول الصافي، هو الرازي، وأول من عرف المكروب هو آق شمس الدين، وأول من اكتشف الجذام هو ابن الجسار، وأول من اكتشف انتشار الوباء هو ابن الخطيب، وأول من اكتشف مكروب السلّ هو العالم قمبور وسيم، وأول من اكتشف شبكية العين هو ابن رشد، وأول من أجرى عملية جراحية في العين هو العالم عمار، وأول من أجرى عملية جراحية لمرض السرطان هو علي بن عباس، وأول من اكتشف الدورة الدموية الصغرى هو ابن النفيس، وأول رئيس لغرفة الأطباء هو علي بن رضوان، وأول من أوجد الصفر هو الخوارزمي، وأول من أوجد المثلثات هو ابن البطاني، وأول من ألف كتاباً في المثلثات هو نصر الدين الطوسي، وأول من أوجد معادلة تحويل المثلثات وأوجد الساعة الرقاصة هو ابن يونس، وأول من ألف كتاب التفاضل والتكامل هو ثابت بن قرة، وأول من أوجد الكسور العشرية هو قياس الدين جمشيد، وأول من أوجد الأصطرلاب هو الزركلي، وأول من اكتشف دوران الأرض حول نفسها هو البيروني، وأول من قاس محيط الأرض هما الأخوان

موسى، وأول من أوجد البقع الشمسية هو الفرغاني، وأول من أوجد انشطار الذرة وأنشأ مختبراً للكيمياء هو جابر بن حيان، وأول من شرح قوس قزح هو قطب الدين الشيرازي، وأول من أوجد الفسفور هو بشير، أول من صنع مدفع الهاون هو السلطان محمد الفاتح، وأول من ألف كتاب الرحلات هو ابن بطوطة، وأول من ألف كتاباً في الصيدلة هو ابن البيطار.

هذا غيض من فيض. ودليل على أن المسلمين ساهموا مساهمة فعلية في المدنية الحالية. وأن المدنية الحالية ليست ملكاً لأحد أو لمجتمع. ولكن هذه المساهمات حصلت في عهود كانت الأمية أكثر انتشاراً مما هي عليه اليوم. فلماذا لا نستطيع اليوم أن نحقق مثل هذه الإنجازات؟ ولقد نشأ هؤلاء العلماء في ظروف صعبة جداً. وربوا أنفسهم بأنفسهم. ولم تكن هناك مدارس منظمة كالتي نشاهدها اليوم. ولقد قال أفلاطون في قديم الزمان: إن المعرفة تأخذ من الإنسان أكثر مما تعطي. هذه الوضعية تفرض سؤالاً هو: هل مدارسنا تأخذ أكثر مما تعطي؟ ولماذا؟ الجواب في عوائق الإبداع.

عوائق الإبداع

تقول الكاتبة إن التربية المثبطة للإبداع وإهمال المبدعات الموهوبات يبدأ منذ الطفولة في البيت والمدرسة. والحقيقة أن الطريق ليس معبداً أمام المبدعين من ذكور وإناث لكي يبرزوا بسهولة ويسر. وبدلاً من ذلك توجد هناك عراقيل كثيرة ومتنوعة تحول دونهم. لقد تناول رضا[١٨] معوقات الابتكار مشيراً إلى أشكال العراقيل الأربعة التي أدرجها كون Coon، والتي تتضمن العراقيل الانفعالية، والعراقيل الثقافية، والعراقيل المتعلّمة، والعراقيل الإدراكية. على أنه صنف العراقيل بشكل آخر يختلف عن ذلك التصنيف تحت خمسة أصناف هي: العراقيل الشخصية، والعراقيل العائلية، والعراقيل المؤسسية، والعراقيل الاجتماعية، والعراقيل المدرسية. ولعل أهم هذه العراقيل هي العراقيل المدرسية؛ لأنها المؤسسة المختصة التي تتولى أمر التربية. وباختصار يمكن سرد مجموعة كبيرة من العوامل في هذا المجال. عدم توفير التربية الابتكارية، وعدم تخصيص الوقت الكافي للابتكار، والمشكلات المتعلقة بالأهداف التربوية من حيث إن الأهداف التربوية في مدارسنا لا تؤخذ بشكل جدّي كما ينبغي أن يكون الأمر عليه، وبالتركيز في الأهداف التربوية الذهنية الواطئة، من دون الأهداف التربوية الذهنية العليا، وإهمال الأهداف التربوية الوجدانية، أو النفسية الحركية، أو كليهما في آن واحد، والمناهج الدراسية الجامدة والمثقلة التي لا تخرج عن إطار مرسوم معروف من ذي قبل مهما كان الأمر، واستخدام الكتاب الواحد في التدريس، وإهمال المصادر الموجودة في المجتمع، والمناهج المثقلة كثيراً وبقوانين انضباطية صارمة، والتربية المتركزة على المعلم، والاكتفاء باستخدام الطرائق الجماعية والاستغناء عن الطرائق الفردية، وشحة استخدام الوسائل التعليمية، وفقدان الجو الديمقراطي في التدريس، وإهمال الفروق الفردية بين الطلاب، والتقويم ذو الاتجاه الواحد، والمعلم المتسلط، والطالب المفتقد الدافعية العالية في التربية.

ولما كانت المدارس هي التي تتولى أمر تربية الذكور والإناث، ولا يمكن أن يمارس فيها أي تمييز جنسي، وهي التي لابد أن تكون سباقة في كل تطوير وتنمية، وموجهة لباقي مؤسسات المجتمع ففيها يكمن الحلّ الأمثل. وهو ببساطة تحويل هذه الجوانب السلبية إلى جوانب إيجابية. أما عن الكيفية التي يتم بها ذلك فأمر متروك للتربويين.

ذكورة المبدعات

ترى الكاتبة أن النساء اللاتي تعلمن تعليماً عالياً يقتربن من الرجولة، وكذا الأمر بالنسبة إلى الرجال الذين يتعلمون تعليماً عالياً فهم يقتربون من الأنوثة. وهذه الحقيقة تنطبق على النساء المبدعات والرجال المبدعين. هذا التعبير غير سليم. إذ إن كل رجل وامرأة يحملان خصائص ذكورية وأنثوية في الوقت نفسه. على أن الخصائص الذكورية تطغى لدى الرجال، وتطغى الخصائص الأنثوية لدى النساء. أما المبدعون ذكوراً وإناثاً فتتعادل لديهم الخصائص الذكورية والأنثوية. وهكذا تبدو المرأة المبدعة أكثر

لايزال بعضهم يلجأ إلى عقاب المرأة التي تنجب الأنثى بطريقة أو بأخرى، مع أنها ليست مسؤولة عن ذلك

مسابقة الفيصل

أسماء الفائزين

العدد المزدوج (٣٧٧ / ٣٧٨)

ذو القعدة ذو الحجة ١٤٢٨هـ

الفائز الأول:	د. نسرين فيصل شقير - دمشق - سورية.
الفائز الثاني:	صفاء علي حامد علي - أسيوط - مصر.
الفائز الثالث:	أحمد رائد عباس - جدة - السعودية.
الفائز الرابع:	شكري سامي عبدالرحمن - صنعاء - اليمن.
الفائز الخامس:	أنس زهير سعيد - دبي - الإمارات.
الفائز السادس:	محمد عبدالمهدي سلامة الكساسبة - الكرك - الأردن.
الفائز السابع:	رضى مهدي علي - المنامة - البحرين.
الفائز الثامن:	رشاد فؤاد السيد - الدوحة - قطر.

حل المسابقة

العدد المزدوج ٣٧٧ - ٣٧٨

١- سور الصين العظيم هو أطول بناء في العالم .

٢- جيمس نايسميث هو مبتكر كرة السلة في عام ١٨٩١م.

٣. أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب هي أم الخليفة عمر بن عبدالعزيز.

أسئلة مسابقة

العـــدد (٣٨١)

(١) في أي يوم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي أي عام؟ ....

....

(٢) ما عدد جزر الفلبين؟ وما أكبرها مساحة؟ ....

....

(٣) ما أكبر أربعة أنهار في إفريقية؟ ....

....

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب:.................... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد ......)

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

مسابقة الفيصل

حل المسابقة

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات الإخوة القراء المتابعين للمسابقة تمت زيادة قيمة الجوائز، بعد أن سبق مضاعفتها من قبل.

فقد تم رفع قيمة الجائزة الأولى من ١٠٠٠ ريال إلى ١٥٠٠ريال، والجائزة الثانية من ٧٠٠ إلى ١٠٠٠ ريال، والجائزة الثالثة من ٥٠٠ إلى ٧٠٠ ريال، والجائزة الرابعة من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ ريال، والجائزة الخامسة من ٢٥٠ ريالاً إلى ٣٥٠ ريالاً، والجائزة السادسة من ١٥٠ ريالاً إلى ٢٥٠ ريالاً.

وتظل الجائزتان السابعة والثامنة على ما كانتا عليه.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.

قسيمة اشتراك أفراد (مخفضة)



الاسم: ....

العنوان: ....

المدينة: ....

الدولة: ....

ص.ب: .... الرمز البريدي: .... هاتف: .... ناسوخ: ....

- قيمة الاشتراك السنوي لـ (١٢ عددًا) ١٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.
- ترسل قيمة الاشتراك بشيك مصدق لأمر مجلة الفيصل الثقافية، أو يتم توريدها في حسابنا رقم (٠٠١ ـ ٠٥٥٥٠٥ ـ ٠٠٤) في البنك السعودي البريطاني، شارع العليا العام ـ الرياض.
- يشترط إرفاق القسيمة مع طلب الاشتراك.

ص.ب (٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية ـ هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥/ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

خشونة مقارنة بالنساء الأخريات، ويبدو الرجل المبدع أكثر نعومة مقارنة بالرجال الآخرين.

حمل المبدع والمبدعة خصائص الجنس المقابل خاصية واحدة من عشر خصائص متناقضة يتمتع بها المبدعون. فهم انطوائيون، وانبساطيون، لا أباليون، وجادون، أطفال وناضجون، سذج ومنطقيون، متواضعون ومتكبرون. نشيطون وميالون إلى الراحة، يتحملون مسؤوليات ويتهربون منها. عصاة ومحافظون، موضوعيون وذاتيون في الوقت نفسه. وكأنما هم أكثر من شخصية واحدة في شخص واحد. وهذه المسألة طبيعية، وهي التي تؤهلهم إلى الإبداع. لقد أكد أبستين (Epstein، ١٩٩٦). هذه الحقيقة بالذات.

التمييز الجنسي العالمي

التمييز الجنسي ضد الإناث موجود تقريباً في كل المجتمعات المتقدمة وغير المتقدمة. ولا أنسى أني عندما نزلت ضيفاً على عائلة أمريكية تتكون من أستاذ وأستاذة متقاعدين، وضمن الحديث ذكرت الأستاذة أن أباها كان رجلاً عظيماً لا يميز بين الذكور والإناث، فاهتم بتعليم البنات كما اهتم بتعليم الذكور. فسألتها في الحال: وهل هناك عوائل أمريكية تميز في ذلك ؟ وكان جوابها قطعاً بالإيجاب.

وكلنا نعلم أن الصين عندما أصدرت قانون تحديد النسل، وسمحت لكل عائلة بإنجاب طفل واحد فقط. لجأ الصينيون إلى كشف هوية الجنين واللجوء إلى إسقاط الجنين في حالة الأنثى، واستخدام حقهم في الحصول على الذكر بدلاً من الأنثى. أليست هذه الحالة شكلاً من أشكال وأد البنات في العالم المتمدن ؟ واليوم يعاني الصين تبعات هذا القرار الخاطئ بزيادة أعداد الذكور على الإناث بأكثر من مئة مليون نسمة، وعدم توافر زوجات صينيات لهذه الأعداد الكبيرة من الذكور لتشكيل العوائل التي تعد نواة المجتمع. وهكذا فقد أخلّ الإنسان مرة أخرى بتوازن الطبيعة الدقيق بتدخله الشائن.

عائلة كوري والكفاح المضني

على أن هذه العوائق التي ذكرتها الكاتبة لم تمنع بعض النساء



يدافع تورانس عن فكرة فحواها أن الإناث، ومجموعة الأقليات تتفوق إذا ما أعطيت الفرص المناسبة

المتميزات من الكفاح المضني، والنضال المستمر، والحصول على شهرة تفوق شهرة الرجال بكثير. مدام كوري (١٩٣٤ - ١٩٦٧م) الفيزيائية المشهورة التي اكتشفت عنصري الراديوم والبولونيوم مثال على ذلك. نشأت في بولندة، وأكملت الثانوية في فترة لم يكن يسمح فيها للإناث الدخول إلى الجامعة. فلم تيأس من ذلك، وعزمت على السفر إلى فرنسا التي لم تكن تمانع من ذلك. على أنها لم تكن تملك من المال ما يعينها على السفر. فقررت أن تعمل سنة واحدة لكي تجمع المال اللازم. ففعلت ما لم يفعله كثير من الرجال. بدأت تعمل عملاً مضنياً، وتقتصد في المصاريف من أجل تحقيق الهدف. لم تأكل خلال هذه السنة غير الخبز والزبدة. ولم تكن حياتها في فرنسا أفضل من ذلك بكثير. فالطريق ليس معبداً دائماً أمام العلماء والمخترعين والمكتشفين! لقد تزوجت مدام كوري، وقامت بمتطلبات الزواج، وأنجبت بنتين، وعملت في ظروف صعبة جداً، وحاربها الجميع، حتى إنها أحيلت إلى المحكمة بدعوى خطفها زوجها بيير الفرنسي. ومع كل ذلك فقد استطاعت أن تقلع النجاح قلعاً، وتحصل على جائزة نوبل مرتين، الأولى في عام ١٩٠٣م، والثانية في عام ١٩١١م، وترتقي إلى عمادة كلية العلوم، وتنشئ معهد الراديوم، ومختبراً للبحوث البيولوجية لعلاج السرطان.

ومع كل ذلك فقد توفقت في تربية بنتيها. اقتفت بنتها آيرين جوليو كوري (١٨٩٧-١٩٥٧م) أثر والدتها، وبدأت تساعد والدتها في معهد الراديوم. عملت على النشاط الإشعاعي الطبيعي والصناعي، وفي مشروع القنبلة النووية الفرنسية، التي فاقت الأمريكية ما قبل الحرب العالمية الثانية. وتزوجت هي الأخرى، وأنجبت طفلين، وقامت بمتطلبات الزوج والأطفال. ومع ذلك فقد ارتقت في مناصب علمية حساسة جداً. ونالت هي الأخرى مع زوجها جائزة نوبل عام ١٩٣٥م. ألا يثبت ذلك أن المرأة متى ما تملكت إرادة قوية، وشغفاً بالعلم، وعملت عملاً مضنياً فإنها تستطيع أن تزيل العراقيل من أمامها، وتتفوق في ميدانها سواء كان ذلك عاجلاً أم آجلاً؟ الجواب نعم، وهذا صحيح أيضاً بالنسبة للذكور.

خاتمة المطاف

يمكن أن يكون كل إنسان، ذكراً أو أنثى مبدعاً، ومبتكراً، وكاشفاً أو مخترعاً إذا ما اختص في ميدان من ميادين المعرفة.



الإبداع بحاجة إلى عزيمة



وحصل على الثقافة العامة، وحمل دافعية عالية، وتدرب على وسائل تحقيق الابتكار، ثم خصص وقتاً كافياً للتفكير في الأمر. الطريق ليس سهلاً ميسراً للارتقاء إلى مصاف العلماء والمبدعين والمبتكرين، بل هو طريق شائك، سواء كان في الشرق، أو في الغرب، ومهما كان جنس الواحد.

تدل الإحصاءات على أن أعداد من وصلوا إلى القمة في ميادينهم، ونالوا شهرة عالمية بين الإناث أقل بكثير مما هو بين الذكور. التمييز الجنسي كان ولايزال موجوداً ضد الإناث في بقاع مختلفة من العالم، ومنها دولنا العربية والإسلامية. يرجع هذا التمييز إلى العوامل الثقافية مع أن ديننا الحنيف حمّل النساء كما حمّل الرجال مسؤولية طلب العلم ولو كان في الصين، ومن المهد إلى اللحد. وبجانب ذلك فإن الإناث يملن إلى الزواج المبكر، لسبب أو لآخر، وما يصاحب هذا الزواج المبكر من مسؤوليات خاصة فيما يخص الأمر بالحمل والإنجاب وتربية الأطفال. أضف إلى ذلك فإن النساء أكثر تضحية من الرجال، ويفضلن أن يرقين أزواجهن وأولادهن في المقام الأول.

ومع هذه المسؤوليات لو توافرت لدى الإناث إرادة قوية، وعزمن على نيل شرف علمي، وكدن واجتهدن، فإنهن يزلن العراقيل الموجودة أمامهن واحداً بعد آخر، ويحققن الأهداف، وينلن المرامي؛ لأن طاقتهن العقلية ليست بأقل مما هي موجودة لدى الرجال. وفي التأريخ أمثلة على ذلك، وإن لم تكن كثيرة كما هو الحال لدى الرجال.

الهوامش والمراجع

١- البعلبكي، منير (١٩٩٠م) موسوعة المورد العربية: الجزء الأول، بيروت: دار العلم للملايين.

2- Thompson. S. J.; Benson. S. N. K.; Pachnowski. L. M. and Salzman. J. A. (2001) Decision-Making in Planning and Teaching. New York. Longman.

3- Arends. R. I. (2004) Learning to Teach. Boston: McGraw Hill.

J. (2003) Psychology. (Sixth Edition) Boston. Houghton Mifflin.

4- Eggen. P. and Kauchak. D. (2004) Educational Psychology: Windows on Classrooms. (Sixth Edition) New Jersey. Pearson Merrill Prentice Hall.

٥- رضا، أنور طاهر (٢٠٠١م) تعقيب على مقال «المبدعون وسوء التوافق النفسي»: ردود وتعقيبات. مجلة الفيصل، ٣٠٢، ١١٠-١١٢.

6- De Bono. E. (1993) Serious Creativity: Using the Power of Lateral Thinking to Create New Ideas. London. Harper Collins.

7- Hall. D. and Wecker. D. (1995) Jump Start Your Brain: A Proven Method for Increasing Creativity up to 500%. New York: Warner.

8- Epstein. R. (1996) "Capturing Creativity." Psychology Today. 29 (4). 36-40.

9- De Boni. 1993.

10- Cronbach. L. J. (1970) Essentials of Psychological Testing. New York. Harper and Row. p. p. 394-398.

11- Engle. T. L. and Snellgrove. L. (1979) Psychology: Its Principles and Applications. (Seventh Edition) New York: Harcourt Brace Jovanovich.

12- Coon. D. (1983) Introduction to Psychology Exploration and Application. (Fourth Edition) St. Paul. Minnesota: West.

13- De Boni. 1993.

14- Dacey. J. S. and Travers. J. F. (2002) Human Development across the Life Span. Boston: McGraw-Hill Higher Education.

15- Santrock. J. W. (2000) Children. Boston: McGraw-Hill.

16- Gönen. M.; Uzmen. S. ; Akçin. N. ve Özdemir. N. (1987) "Anaokuluna Giden 5-6 Yaş Çocuklarında Yaratıcı Düşüncenin İncelenmesi." Eğitim ve Bilim. 65. 64-71.

17- Torrance. E. P. (1994) Creativity: Just Wanting to Know. Pretoria: Benedict Books.

١٨- رضا، أنور طاهر (٢٠٠٦م) «معوقات الابتكار» مجلة الأبعاد الخفية – الكويت، ٦ (٦٠) ٤-٨.



القصور العثمانية

متاحف للتقاليد الشعبية

محمود زين العابدين

حلب - سورية



قصر طوب قابي سراي من الخارج

انتشرت في العالم العربي والإسلامي ظاهرة توظيف المباني الأثرية على شكل متاحف. تستقطب الزائر والسائح معاً، وحققت هذه التجربة نجاحاً في حماية المبنى، إضافة إلى عدد من الأمور التي ساهمت بحمايته منها: الحيلولة دون إهمال المبنى، وإيجاد الوسيلة للإنفاق على صيانته والعناية به. وجعله على صلة بالحياة، وربط الماضي بالحاضر وفتحه للجمهور [1].

وتبقى المتاحف المفضلة عند الجمهور المختلط، المتاحف ذات الأبنية الأثرية، كالقلاع والقصور والأبراج والبيوت القديمة، إذ يرغب الجمهور في زيارة المبنى أولاً، ثم الاطلاع على المعروضات فيه. عدا أن البناء الأثري يبقى إطاراً مفضلاً لعرض محتويات



زوّار لمتحف قصر طوب قابي من كل الأجناس

أثرية. فيهتم الجمهور بزيارة متاحف التقاليد الشعبية والفنون اليدوية، التي تحمل ذكريات الحياة السالفة، وقد لا يكون الزائر قد عاشها أو عرف عنها[٢].

والقصر هو كل بيت عالٍ من حجر أو من أي مادة بناء أخرى. مخططات القصور الإسلامية متشابهة، فمسقطها مربع، يحيط بها سور تعلوه أبراج ركنية وضلعية دائرية أو نصف دائرية، لها مدخل واحد يوصل إلى فناء مكشوف تحيط به كل المرافق، كالأروقة والمساكن والإسطبلات والسلالم والأحواض، التي تحتل أحياناً وسط الصحن. وقد تميزت تلك الأبنية بالاتساع والرحابة، وكادت تقارب المدن بمقاساتها، فقد بلغت مساحة قصر الزهراء خمسة وعشرين ألف متر مربع. وقد ارتبط كل قصر بأسم الخليفة، وكأن اللفظة تعني الأبنية العظيمة التي يقيمها الخلفاء فقط. فقصر الخضراء، الذي لم يبق منه أي أثر، بناه في دمشق معاوية بن أبي سفيان في القرن الأول للهجرة (السابع للميلاد). وفي القرن الثاني بنى هشام بن عبد الملك في بادية الشام قصر الحير الغربي، وبنى الوليد بن عبد الملك في بادية الأردن (المشتى). وفي سنة ٣٢٥هـ، الموافق ٩٣١م بدأ عبد الرحمن الناصر بتعمير قصر الزهراء قرب قرطبة. وقصر الحمراء في غرناطة وهو بلاط بني الأحمر منذ سنة ٧٣٤هـ، الموافق ١٣٣٣م[٣].

وقد انتشرت ظاهرة تحويل القصور الإسلامية إلى متاحف كبيرة، وللتعرف إلى القصور التي تم تحويلها إلى متاحف، تم اختيار نموذجين مهمين في عالمنا العربي والإسلامي، لاستعراضهما، والتعرف إلى عناصرهما المعمارية، وإلى محتوياتهما:

قصر طوب قابي سراي بمدينة إستانبول

فتح السلطان العثماني محمد الثاني مدينة القسطنطينية، بعد حصار مكثف في ٢٩ مايو/ أيار عام ١٤٥٣م[٤]. وأمر بتشييد قصر لإقامته في منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، واستمر في التوسعة بإضافة السلاطين الذين توالوا حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، عندما شيد آخر جناح خاص للسلطان عبد المجيد، ففي سنة ١٢٧٠هـ، الموافق عام ١٨٥٣م فقد القصر صفته كمقر ملكي دائم، إذ أصبح دولمابهجة قصراً للسلطان عبد المجيد[٥].



الموقع

يقع قصر طوب قابي سراي في قلب مدينة إستانبول التاريخية، بمنطقة السلطان أحمد. وفي الطرف الأوربي من المدينة، ويتميز بموقع إستراتيجي وهو موقع أكروبول بيزنطة العريق. على الرأس المرتفع المهيمن على الخليج (القرن) الذهبي. ومضيق البوسفور، وبحر مرمرة.

أهداف المتحف

يهدف هذا المتحف إلى التعريف بثراء الحضارة العثمانية وقوتها، التي امتدت إلى ستة قرون، وتوسعت وأبدعت في عدة فنون؛ إذ يقدم المتحف عرضاً متكاملاً لتطور العمارة العثمانية وفنونها، من تزيينات الفراغات المنفردة، وفنون الخزف والزجاج والنسيج، وبالشكل المعيش للسلاطين العثمانيين، من خلال زيارة استراحاتهم. وملابسهم التي كانوا يرتدونها، والقدور والأواني والأطباق والصحون التي كانوا يستخدمونها، وإلى أهم التحف النادرة، التي حصلت عليها الدولة العثمانية، أو أهديت إليها من الدول الأخرى، وحافظت عليها.

الوصف المعماري

تبلغ مساحة القصر ٧٠٠,٠٠٠ متر مربع، ويحده من جهة البر سور ضخم بطول ١,٤٠٠ متر. ويتصل هذا السور بالسور البيزنطي المطل على بحر مرمرة، والممتد حتى القرن الذهبي، والسور مدّعم بثمانية وعشرين برجاً. ويشتمل طوب قابي سراي على استراحات، ومساجد، وقاعات اجتماعات، ودواوين حكومية، ومكتبات ومعسكرات، ومبان أخرى متنوعة، تدور حول أربعة أفنية كبيرة، يقع الواحد منها من وراء الآخر. وقد أخذ الموقع شكله الحالي، بعد إضافة عدد من المنشآت الأخرى. كالمطابخ، وأجنحة الحريم، والأسبلة، والحدائق، على مدى سنوات وعصور متتالية [٦].

أقسام المتحف:

يحتوي القصر على خمس مجموعات من الشقق، ومجموعتين للمكاتب الحكومية، وخمس مدارس، واثنتي عشرة مكتبة، وثمانية أحياء للخدم، إضافة إلى اثنتين وعشرين نافورة. وعدة برك، كما يحتوي على أكشاك. سيتم التعرف إليها وبشكل منفصل، ويحيط بها الحدائق والأفنية والأجنحة الخاصة. وللقصر مدخل رئيس سمي بباب السعادات، (يربط بين الفناء الخارجي الأول، والفناء الثاني الداخلي)، وتقع المكاتب الحكومية مثل: قاعة العرش، وقاعة الطلب حول الفناءين الأولين، إضافة إلى المطبخ الرئيس للقصر. كما انتشرت المناطق السكنية داخل الأفنية والحدائق الواقعة في الداخل [٧].





الجمال في العمارة والزخارف والمقتنيات في متحف قصر طوب قابي

طريقة العرض

اختلفت طريقة العرض في قصر طوب قابي من قسم إلى آخر وفق نوعية المكان، ففي قسم المطبخ وزعت الأواني النحاسية التي كانت تستخدم في العهد العثماني في الأماكن المخصصة لها، كما كان الحال عليه في السابق، وأما الخزفيات والنحاسيات، والأسلحة والألبسة والتحف الثمينة فقد وضعت في صناديق زجاجية، لحمايتها، ولسهولة الاطلاع عليها، ويشار إلى أن أسماء جميع التحف باللغات الثلاث: العربية، والتركية، والإنجليزية، وفي قسم الأمانات



عظمة العمارة الإسلامية تبدو في قصر طوب قابي

المقدسة. خصص شيخ يجلس ليتلو القرآن في القاعة، وليضفي على قدسية المكان الروحانية والخشوع، لما لهذه المقدسات من أهمية دينية. وحفظ معظمها في علب فضية ومزينة بالأحجار الكريمة. وفي قسم الحريم تم اللجوء إلى بعض المجسمات للنساء وبحجمها الطبيعي، وبملابسها العثمانية التقليدية. علماً أن المتحف مزود بأحدث التقنيات لحماية محتوياته، إضافة إلى وجود الكاميرات في جميع زوايا القصر وأرجائه، ولكل قاعة شخص مسؤول عنها.

قصر العظم بمدينة دمشق

شيد هذا القصر في عهد أسعد باشا العظم، والي دمشق العثماني، سنة ١١٦٣هـ، الموافق عام ١٧٤٩م[٨]، وآل العظم من الأسر الحاكمة، الذين تولوا الحكم مع فترات انقطاع قصيرة، من عام ١٧٢٥م حتى ١٧٨٣م. سادت لهم البلاد كلياً في أيام أسعد باشا (١٧٤٣م – ١٧٥٧م)[٩]، وقد ولد أسعد باشا العظم في معرة النعمان بسورية عام ١٧٠٤م، وولّي الحكم على ولاية دمشق الشام مع إمارة الحج الشامي عام ١٧٤٣م، وقد حج أربع عشرة مرة (طوال مدة ولايته على دمشق)[١٠].

مخططات القصور الإسلامية متشابهة، فمسقطها مربع، يحيط بها سور تعلوه أبراج ركنية وضلعية دائرية أو نصف دائرية

الموقع

يقع القصر في وسط مدينة دمشق القديمة بجوار سوق البزورية، بين الجامع الأموي في الشمال والشارع المستقيم (شارع مدحت باشا حالياً) في الجنوب، على جانب من الرقعة التي كان يقوم عليها قصر الخضراء، الذي ابتناه الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان[١١].

أهداف المتحف

يهدف هذا المتحف إلى إعطاء الزائر والسائح صورة حية للنمط المعيشي للسكان في مدينة دمشق القديمة، من خلال المشاهد للحياة اليومية، سواء أكانت داخل البيت العربي التقليدي أم خارجه، إضافة إلى التعريف بفن العمارة الذي تميزت به مدينة دمشق في العهد العثماني، من خلال التعريف بعناصر البيت العربي التقليدي، وبأنواع الزخرفة التي تزين عناصره المعمارية، وواجهاته الداخلية.

الوصف المعماري

تبلغ مساحة القصر الحالية ٥,٥٠٠ م٢. وموضعه كان قسماً من صحن معبد جوبيتر القديم، ويشير بعض المؤرخين إلى أن هذا المكان

كان داراً لمعاوية بن أبي سفيان (قصر الخضراء)، وقد استغرق بناء القصر ثلاث سنوات[١٢]. وظل القصر حتى بداية عشرينات القرن الماضي مسكناً لآل العظم، استُملك منه قسم العائلة (الحرملك) في أثناء الانتداب الفرنسي على سورية، وحوّل إلى حامية عسكرية، ثم إلى مركز لدراسة الفنون، وأصبح مقراً للمعهد الفرنسي للدراسات الشرقية. وبعد الاستقلال تم استملاك كامل القصر عام ١٩٥٣م، وبعد القيام بأعمال الترميم الضرورية، وتزويد القصر بالتجهيزات اللازمة، حوّل إلى متحف للتقاليد الشعبية، والصناعات اليدوية التقليدية. وافتتح في الثالث عشر من سبتمبر / أيلول عام ١٩٥٤م[١٣].

أقسام المتحف:

يعد قصر العظم، نموذجاً مثالياً لعمارة القصور التي تعود إلى العهد العثماني، ويتألف القصر من ثلاثة أقسام رئيسة: السلاملك، والحرملك، والخدملك. وله مدخل عبارة عن بوابة كبيرة أسفلها باب خوخة، وتفضي إلى ممر عريض ذي سقف مقبب، يقود مساره الجنوبي إلى جناح الضيوف (السلاملك)، والشمالي إلى جناح العائلة (الحرملك). ويوجد في القصر ست عشرة قاعة



منظران لقصر العظم أحد نماذج العمارة العثمانية في دمشق

كبيرة. وتسع عشرة غرفة موزعة في الدور الأرضي، أما في الدور العلوي فهناك تسع غرف، إضافة إلى وجود ثلاثة أواوين ورواق ذي خمس أقواس محمولة على أعمدة ذات قواعد وتيجان مزخرفة. كما تنتشر الفسحات السماوية وأربع برك ماء كبيرة كانت تستمد ماءها من نهر قنوات. ويوجد حمام متكامل داخل القصر.

طريقة العرض

تمت الاستعانة في طريقة العرض بمجسمات بحجمها الطبيعي، وبملابسها الشعبية، لإعطاء الصورة الحقيقية للشكل المعيشي للبيوت الدمشقية، فنجد مجموعة من الرجال يجلسون في إحدى القاعات، وفي قاعة أخرى مشهد للمقاهي الشعبية، وفي قاعة أخرى مجموعة من النساء، بزي تقليدي مزركش، إضافة إلى عدد من المشاهد، وعرض بعض التحف والخزفيات ضمن صناديق زجاجية، وتوجد لوحات إرشادية عند مداخل الغرف باللغتين العربية والإنجليزية. ويتم الاستفادة من فناء قسم الحرملك بإقامة حفلات موسيقية وفنية مختلفة.

أعمال ترميم القصر

احتلت القصر الحكومة الفرنسية في عام ١٩٢٢م، وفي عام ١٩٢٥م، قام المعماري ميشيل أكوشارد بترميمه، على إثر الثورة التي دمرت أجزاء منه. وجرت أعمال الترميم للقصر الذي تهدمت أجزاء منه خلال عام ١٩٤٦م، وعام ١٩٥٤م، حيث أعيد افتتاح القصر للعامة كمتحف. وقد تبنت منذ عام ١٩٥١م الحكومة السورية أعمال الترميم والحفاظ التي جرت على القصر كمعلم تاريخي مهم، ووكلت الحكومة أعمال الترميم إلى شفيق الإمام، الذي عين قيماً للمتحف، وليشرف على أعمال الحفاظ المعماري. وتمت أعمال الحفاظ لمنطقة السلاملك أو

يقع قصر العظم في وسط مدينة دمشق القديمة بجوار سوق البزورية، بين الجامع الأموي والشارع المستقيم

يقع قصر طوب قابي سراي في قلب مدينة إستانبول التاريخية، بمنطقة السلطان أحمد، وفي الطرف الأوربي من المدينة، ويتميز بموقع إستراتيجي

الاستقبال بالقصر مع مطلع الستينيات، واستمرت إلى منتصف الثمانينيات. وقد تمت إعادة بناء الأجزاء المتهدمة من القصر باستعمال الخرسانة المسلحة التي غطيت بطبقة من الحجر.

ومن الجدير ذكره أن أعمال الترميم والحفاظ المعمارية لا تتبع تماماً التخطيط السابق للقصر، وإنما تمت عملية تحويرها عن الأصل لتناسب الوظيفة الجديدة إضافة إلى تحديث البنية التحتية لكامل القصر، وهي من أبرز العقبات التي تواجه عمليات التطوير والحفاظ المعماري، والتي تتطلب إدخال عناصر التكنولوجيا للمباني التراثية، وبطريقة حساسة، بحيث لا تؤثر في القيمة المعمارية للمبنى، أو تؤثر في النظام الإنشائي القديم، أو أعمال الكسوة، أو التبليط التي غالباً ما تكون ذات قيمة فنية وجمالية عالية.

وقد حاز العمل المعماري في هذا القصر جائزة الآغاخان للعمارة الإسلامية في دورتها لعام ١٩٨٣م؛ وذلك لبراعة العمل في التعامل مع الأجزاء المتهدمة من القصر ببراعة ودقة، وبشكل لم يؤثر في القيمة المعمارية، بل بطريقة تعيد إثراء الحوار بين الهوية الثقافية للقصر بشكل يضمن تواصل هذه الهوية الثقافية زمانياً [١٤].

كلمة أخيرة

مما لاشك فيه أن تجربة تحويل المباني الأثرية إلى متاحف، مثل القصور المهملة أو المغلقة، والقيام بترميمها، وإعادة تأهيلها وتوظيفها، وتحويلها إلى متاحف تخصصية أمر في غاية الأهمية، إذ تساهم في الجانبين الثقافي والسياحي، فيحقق المتحف هدفين أساسيين: الأول ثقافي، من خلال التعريف بحضارتنا وبشكل ممتع وشائق، والثاني سياحي، إذ يصبح لدى السائح الغربي معلومات كافية عن هذا البلد، وعن حضارته وتاريخه العريق. كما أن أعمال ترميم المباني الأثرية



يجب أن يكون وفق الشروط والمعايير الدولية، ووفق المواثيق العالمية في أعمال الترميم وإعادة التأهيل. وأن تكون أعمال الترميم أو الإضافات، إذا وجدت، بأقل ما يمكن للمبنى، وأن يكون التدخل الترميمي قابلاً للفك ما أمكن، إذا دعت الضرورة إلى ذلك في المستقبل.

وعند تحويل المبنى الأثري إلى متحف، يجب ألا يؤثر في خصائص المبنى المعمارية أو الفنية، فتخصص خزائن أو صناديق زجاجية، ذات وحدات إنارة مناسبة، ليوضع فيها معروضات المتحف. من دون اللجوء إلى تثبيت المعروضات على جدران المبنى الأثري مباشرة، مع وجود لوحات إرشادية وتعريفية ذات قواعد خاصة، لتجنب إحداث أي تشويه أو ضرر على المبنى نفسه. مع استخدام أساليب عرض متحفية مناسبة للمبنى الأثري. من دون التأثير في المبنى الأثري. والاستفادة من الخبرات العالمية في موضوع إعادة تأهيل المباني التراثية وتوظيفها.

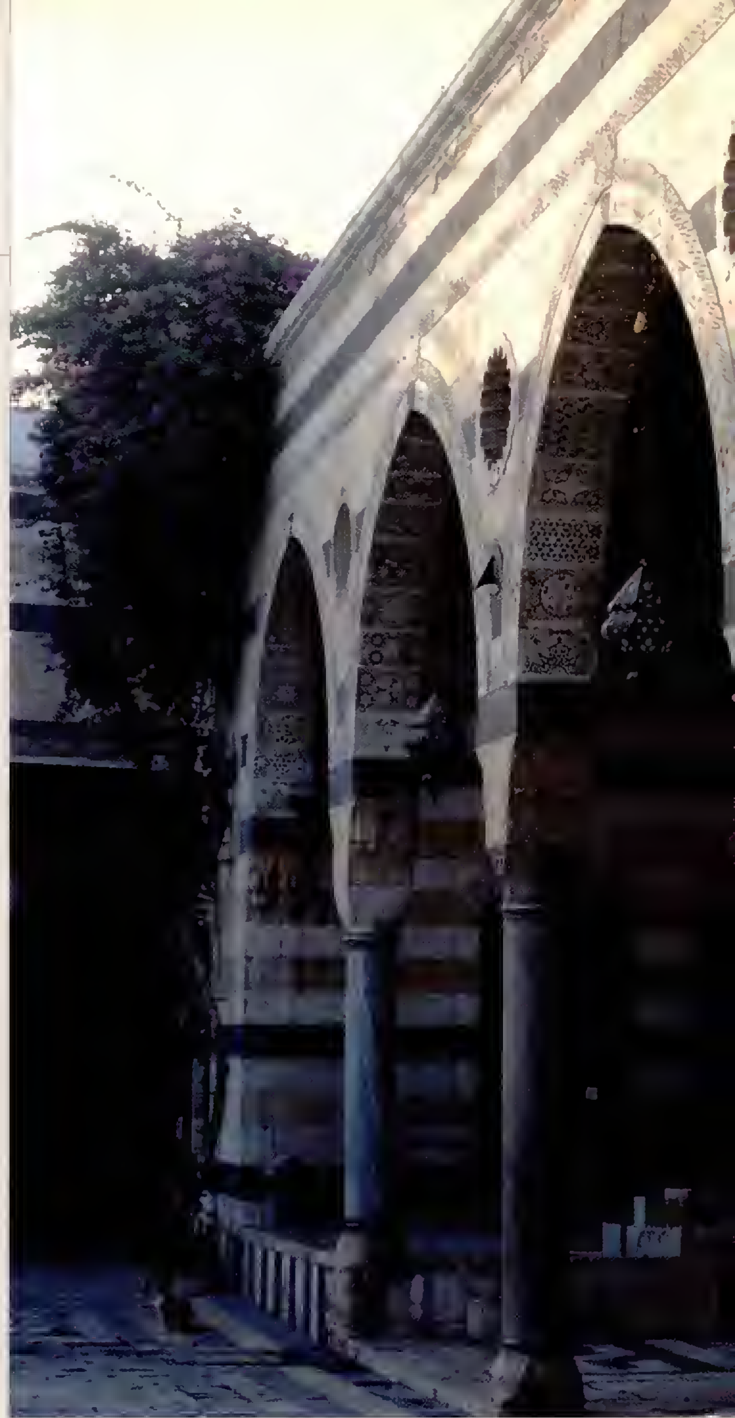
وفي اختيار المعروضات المناسبة من حيث الحجم والموضوع الذي يتناسب مع المبنى التاريخي، ومن حيث الوظيفة التي شيد من أجلها المبنى، بحيث يتحقق تناغم حقيقي ومناسب بين المبنى الأثري، ومعروضاته. والتعرف إلى أحدث أساليب العرض المتحفي وأفضلها، والاستفادة منها في متاحفنا، ليتحول المتحف إلى مكان يجذب الزائر والسائح معاً،

إضافة إلى توفير بيئة تثقيفية وترفيهية؛ ليقضي الزائر وقتاً

المجسمات والملابس الشعبية أسلوب للعرض في قصر العظم







عناق بين جمال العمارة وخضرة الزرع وزرقة السماء في قصر العظم

أطول في أرجاء المتحف، إذا تم تأمين أماكن للخدمات والاستراحات، وبهذا يخرج المتحف من كونه مكاناً لتجميع الآثار فقط، إلى مكان ترفيه وتثقيف وفائدة، كما هو الحال في كثير من المتاحف العالمية، التي كانت في الأساس مباني تراثية، وتمت إعادة تأهيلها وتوظيفها على شكل متاحف، ومراكز ثقافية تقام فيها العروض الثقافية والمعارض.

وتساهم المطبوعات (كتيبات سياحية بعدد من اللغات العالمية)، في التعريف بالمبنى الأثري، وبتاريخه، إضافة إلى المعروضات الموزعة في أرجائه، مع القيام بتوثيق معروضات المتاحف، إذ تعد قضية التوثيق في المتاحف، إحدى أهم القضايا التي يجب على إدارة المتحف القيام بها، وتكمن أهميتها في معرفة عدد المعروضات والإلمام بشكل كامل، بهذه التحف من حيث مواصفاتها، ونوعها، وأبعادها، والتاريخ الذي تعود إليه، وإنشاء قاعدة بيانات متخصصة، يمكن أن يستفيد منها الباحث والمهتم بالتراث.

المراجع

١- عمران هزار، دبورة جورج، المباني الأثرية - ترميمها صيانتها والحفاظ عليها، وزارة الثقافة، دمشق عام ١٩٩٧، ص ٦٧.

٢- البهنسي عفيف، علم المتاحف والمعارض، دار الشرق للنشر، الطبعة الأولى ، دمشق، سنة ١٤٢٥هـ، عام ٢٠٠٤م، ص ١٩.

٣- قاجة جمعة أحمد، موسوعة فن العمارة، دار الملتقى للطباعة والنشر بيروت لبنان، عام ٢٠٠١م، ص ١٢٩.

٤- حرب محمد، العثمانيون في التاريخ والحضارة، دار القلم دمشق، سنة ١٤٠٩هـ/ عام ١٩٨٩م، ص ٦٧.

٥- مجلة البناء، السنة السادسة- العدد ٣١ المحرم، صفر سنة ١٤٠٧هـ - أكتوبر، نوفمبر عام ١٩٨٦م، ص ٧٠-٧١-٧٢.

٦- آبا أوقطاي أصلان فنون الترك وعمائرهم، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، إستانبول- عام ١٩٨٧م ص ٢٢٥.

٧- مجلة البناء، السنة السادسة- العدد ٣١ المحرم، صفر ١٤٠٧هـ / أكتوبر، نوفمبر عام ١٩٨٦م، ص ٧١ .

٨- الخضر، عبد المعطي: تاريخ العمارة (٣)، العمارة في العصور الوسطى، العمارة الإسلامية والأوربية، مطبعة جامعة حلب، حلب، الجمهورية العربية السورية، عام ١٩٩٠م، ص ١٨٩.

٩- ريمون أندريه: العواصم العربية وعمرانها في الفترة العثمانية- تعريب قاسم طوير- دار المجد- دمشق عام ١٩٨٦م، ص ١٠.

١٠- قدور محمد سالم قصر العظم، متحف التقاليد الشعبية والصناعات اليدوية القديمة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ص ١١.

١١- نفس المرجع السابق، ص ٩.

١٢- قاجة جمعة أحمد، موسوعة فن العمارة، دار الملتقى للطباعة والنشر بيروت لبنان، عام ٢٠٠١، ص ١٤٢.

١٣- قدور محمد سالم، قصر العظم، متحف التقاليد الشعبية والصناعات اليدوية القديمة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ عام ١٩٩٧م، ص ٢٤.

١٤- صحيفة الجزيرة السبت ١٨ رمضان سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٣ نوفمبر - تشرين الثاني، عام ٢٠٠٢م، العدد ١١٠١٣.

رؤية نقدية للملاحم والسير

معتصم زكي السنوي
بغداد - العراق

لاقت الملاحمُ أو السِّيَرُ عنتاً شديداً من القدامى والمحدثين على السواء. أما القدماء فقد وصفوها بالكذب حيناً؛ ظناً منهم أنها تدعي لنفسها التاريخ الصحيح. ووصفوها حيناً آخر بأنها من باب الكفر؛ نفوراً مما أبرزت من قيم تناقضت مع أهوائهم في كثير من الأحيان. هكذا يقول «السيوطي في الجزء الثاني من الإتقان في حديثه عن العلوم المستنبطة من القرآن: «وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة، والأمم الخالية، ونقلوا أخبارهم، ودونوا آثارهم ووقائعهم، حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الأشياء، وسموا ذلك بالتاريخ والقصص».

في موضوع آخر من المرجع نفسه يقول: «قال الإمام أحمد بن حنبل: ثلاثة ليس لها أصول، التفسير، والملاحم، والمغازي». ويورد ابن كثير في كتابه «تفسير القرآن الكريم»: «وأما ما يذكره العامة عن البطال من السيرة المنسوبة إلى دلهمة، والأمير عبدالوهاب، والقاضي عقبة، فكذب وافتراء، ووضع بارد، وجهل، وتخبط فاحش». ويمكن القول: إن هذا الموقف الصارم من الملاحم أو السير الشعبية كان في جوهره موقفاً اجتماعياً معادياً «للعامة» من الناس وهو الموقف الرجعي نفسه الذي اتخذته أجيال لا حصر لها من أساتذة الأدب الرسمي، الذين ألقوا في روع النشء عصراً بعد عصر «أن فقه اللغة وآدابها المحفوظة بين جدران متاحفهم هي وحدها «الأدب» وما عداها رجس من عمل الشيطان وأتباعه من «العامة»..

على أن هناك موقفاً آخر يتسم بصفات رد الفعل العنيف، الذي يعتمد على التضخيم والمبالغة، سواء في اتجاهه القائل: إن هذا التراث من الملاحم أو السير الشعبية هو مصدر الأصالة شبه الوحيد فيما يكتبه قصاصونا المعاصرون من قصص، وأن هذا التراث يكاد يصل في اكتماله درجة لا تقل أهمية عن اكتمال قصص العرب. ويعبر عن هذا الموقف الأخير في مثابرة ودأب جديرين بكل إعجاب وتقدير مجموعة من الشباب المتخصص، بتقديمهم دراسات نظرية بالغة القيمة، وفي تجاربهم التطبيقية التي صاغت القصص القديم صياغة



حديثة، قادرة على توصيل النكهة الشعبية الأصيلة جنباً إلى جنب مع الاستفادة العميقة بمنجزات التكنيك المعاصر..

وهنا يمكن القول: إن هذه السير بمنزلة «صياغة عربية للملحمة الشعبية» مع الأخذ في الحسبان أن هناك فروقاً لا يستهان بها بين الملحمتين اليونانية والرومانية والملحمة العربية، مع التأكيد أنها «فروق لا ترتفع إلى مستوى الاختلاف النوعي، وإنما هي أقرب إلى الاختلاف البيئي والزمني، الذي يمنح النوع الأدبي مذاقاً خاصاً نابعاً من الأرض التي ولد فيها، على الرغم من نسبة المشروع إلى النوع نفسه في مواطن أخرى وعلى الرغم من الاعتراف المسبق بأن الملحمة أو السيرة الشعبية تستلهم التأريخ من أحد الوجوه».

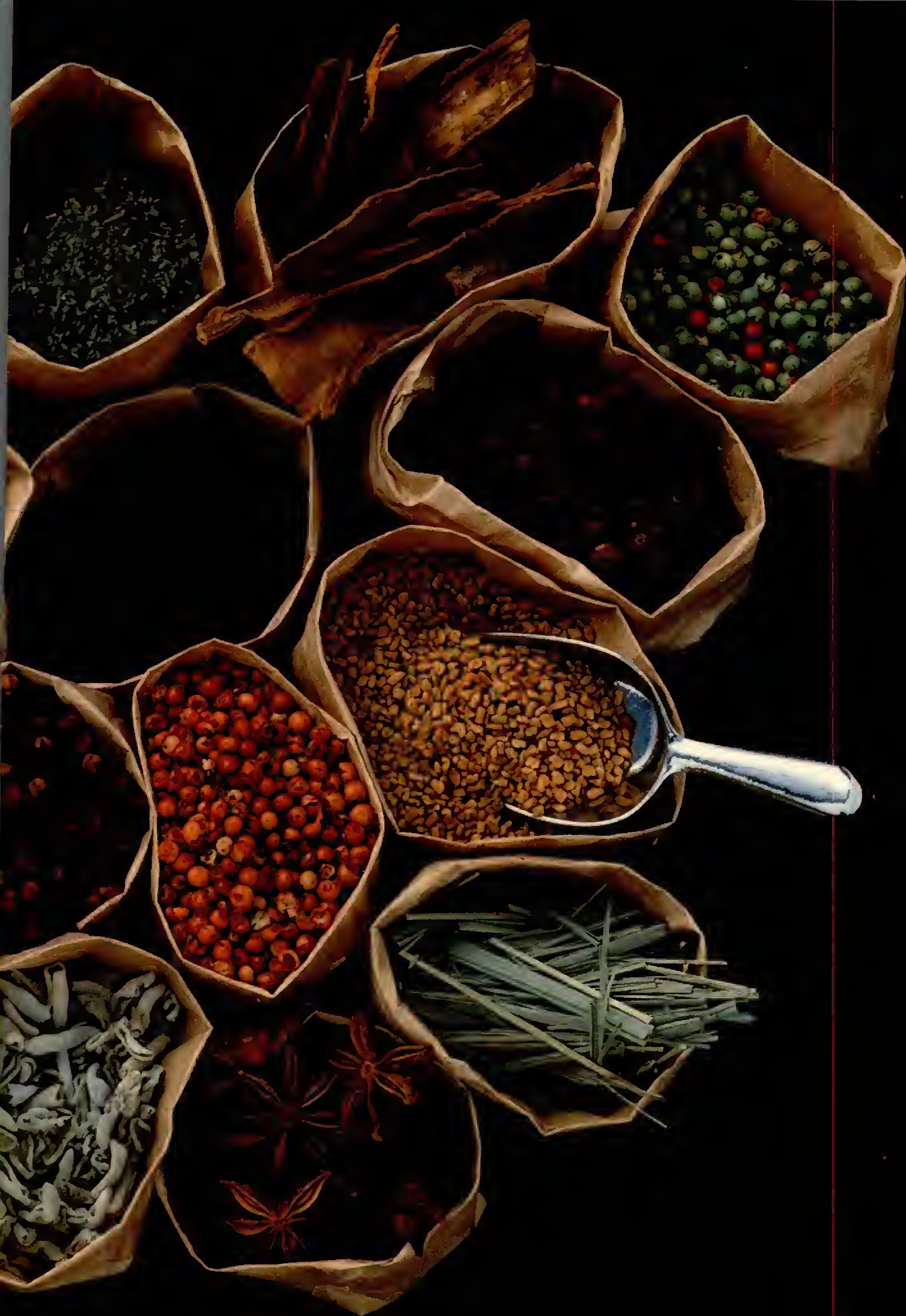
وتُستبعد التسمية المترتبة على هذه الصلة بينها وبين التاريخ، وهي التسمية القائلة: إن السيرة «رواية تاريخية»، ولا الأخذ بالتسمية التي اقترحها الدكتور محمود ذهني، وفاروق خورشيد بعنوان «الرواية الأم» أو «الرواية السيرة» ذلك أنها تسمية تقترب من حدود رد الفعل العنيف المحذور منه.. فإقامة الشرعية في علاقة النسب أو القربى بين القصة العربية المعاصرة والتراث القديم، لا تحتاج إلى أن تكون السيرة بالذات نوعاً مستقلاً عن الملحمة «أماً» للرواية الحديثة. وقد خرجت الرواية النثرية في الأدب الأوروبي من جوف الملحمة الشعرية.. فالبنوة لا تتطلب المشابهة التامة إلى درجة المطابقة بين الأصل والفرع.

ومن ناحية أخرى فإن هذا الإلحاح على تهيئة عالم مستقل للسيرة يفصله عن الأدب الشعبي، إنما يحمل في طياته شكاً واضحاً في انتماء الأدب «الشعبي» إلى الأسرة الأدبية العامة، ويحمل ارتياباً في قيمة المكانة التي يحتلها هذا النوع الأدبي بين بقية الأنواع. والسيرة أخيراً - وفي أبسط تعريفاتها - هي هذا اللون من القصص الطويل، الذي يراوح بين النثر والشعر، ويدور حول البطولات والفروسية، فيشتمل بعد ذلك على أشعار ملحمية، كما يقول أحمد رشدي صالح، أو هي الملحمة، وقد ارتدت ثياباً عربية، كما يفضل الدكتور عبدالحميد يونس في دراسته الكبيرة عن «الهلالية».

صدر حديثاً









الفيصل







توابل وحروب!

برزت التوابل وأهميتها في التاريخ الإنساني منذ الأزل. وكانت تعد من أهم المواد في تجارة العصور القديمة. وكانت المحرك الرئيس لاقتصاد العالم منذ نحو أربعة قرون. وكان العرب لاعبين رئيسين في هذه التجارة. وقد تردد الأوربيون في استخدامها في البداية. ولكنهم أشعلوا الحروب بعد ذلك في سبيل الحصول على «بترول ذلك الزمان».